سلسلة
نشوة الدماء

تأليف
أحمد عرفه

حديقة للموت

مؤسسة حورس الدولية

ياسر الشناوى

مليون طريقة للموت

الناشــــر

مؤسسة حورس الدولية

للنشـــر والتـــوزيـــع

١٤٤ ش طيبة سبورتنج – الإسكندرية

ت ٥٩٧٢١٧١ – فاكس ٤٩٢١٢٨٤

الطبعـــة الأولي

رقم الإيداع بدار الكتب: ١١٦١٨ / ٩٩

الترقيم الدولى **I.S.B.N**

997 - 5902 - 30 - 4

مليون طريقة للموت

تأليف

أحمد عرفة

ضغط على فرامل السيارة بقوة ، حتى أعتقد أن ساقه ستغوص فى قاع السيارة وتثقبها ، دارت السيارة رُبع دورة جانبية حول نفسها من فرط السرعة التى كانت تسير بها . خرجت مقدمتها عن الطريق وارتفعت لتعتلى الرصيف وصوت احتكاك العجلات بأسفلت الطريق ما زال يتردد صداه فى الطريق وكأنه يلفت نظر المارة إلى هذا السائق الذى يقود بمثل هذه الرعونة . غادر السيارة . لم يحاول حتى إغلاق بابها خلفه ، بل تركه مفتوحاً وهو يعدو نحو مدخل مستشفى " الطور " فى هستيريا .

انفتحت البوابات الإليكترونية . عبرها وهو لا يشعر بسيقانه أو بحركته ، لأن عقله كان مشغولاً ؛ يسبح فى أفق آخر وسُحب الدموع تتكاثف ؛ تملأ عينيه ثم فاضت لتغرق وجنته . اتجه نحو الاستقبال :

* أين حجرة العناية المركزة ؟

نظر له موظف الاستقبال فى إشفاق وهو يجيب :

- ستجدها فى آخر هذا الممر على اليسار ولكن غير مسموح لك بالدخول ولكنه لم يستطع إكمال عبارته لأن الرجل لم ينتظر ليسمع المزيد ؛ فقد إنطلق يعدو نحو الممر . صرخ موظف الإستقبال :

- " يا أستاذ .. يا أستاذ ! " .. ولكنه لم يتوقف .

حاولت إحدى الممرضات إيقافه ولكنه فعل لها شيئًا لا يتذكره ، ربما دفعها أو صرخ فيها ، أو فقط تجاهلها . دفع باب غرفة العناية المركزة فى عُنف أشبه بالاقتحام . معطف أبيض اعترض طريقه ، ووقف بينه وبين الجسد الراقد على الفراش مُحاطا بالأجهزة الطبية :

- أرجوك يا سيدى ، ! هدئ من روعك ! صرخ فى انهيار :

* أين إبنتى ؟! ما الذى حدث ؟!

- أرجوك ؛ إن حالة هذا الرجل خطيرة للغاية وأى ، .

* اللعنة على كل الرجال ولكننى أريد ابنتى ، أين هى ؟!

أزاح الطبيب جانباً وهو يلقى إليه ببطاقة تحقيق شخصيته ثم اقترب من الفراش ودموعه الساخنة لا تنقطع :

* أين هى ؟! ، أخذ يهز الجسد المستلقى ما الذى حدث يا نادر ، نادر ، فق أرجوك ، نادر !

ضوضاء غريبة ملأت الحجرة حوله ، برز صوت أجش يصرخ :

- ما الذى يفعله هذا الرجل هنا ؟ ، أخرجوه حالاً ، هذا عبث!!

همس أحد الممرضين فى أذنه بشئ ما ، فأردف :

- لا يهمنى حتى لو كان وزير الداخلية نفسه ، أخرجوه من هنا.

اتجه نحو الرجل حراس الأمن ، كبلوا حركته ، كان هائجا مُنهارا ؛ الكوارث كانت تتوالى على رأسه كالصواعق، كلما تفادى واحدة وجد الأخرى تحاصره .

حاول أن يقاوم حراس الأمن ، بدا وكأنه سينفجر ، إلا أنه هدأ بغتة ؛ لقد أدرك خطأ كل الذى فعله ، ثم إنفجر فى البكاء كطفل .

*****

فى حجرة أحد الأطباء بالمستشفى استعاد القليل من هدوئه أمسك بفنجان الشاى بيد مُرتجفة ، تجرّع منه قليلاً ولكن كان مذاقه فى حُلقه مُرًّا كالصبار فوضعه فى سرعه .

كان الطبيب يطالع بعض الأوراق بينما الضابط يفكر فى شىء ما ، نظر الضابط إلى الرجل فى إشفاق قائلاً :

- هل هدأت أعصابك الآن يا سيادة العميد ؟!

أومأ الرجل برأسه وقال:

* نعم ، إلى حد ما . ثم تطلع إلى الطبيب مُردفاً : هل حالته مازالت فى مرحلة الخطورة يا دكتور ؟

تنهد الطبيب وهو يتبادل نظرة جانبية ذات مغزى مع الضابط قائلاً :

- فى الواقع لا أستطيع أن أحدد هذا ، ولكن ثقتنا بالله كبيرة ... حالته تعتبر مُستقرة نوعاً ، ولكن تلك الغيبوبة الغامضة التى سقط فيها من الممكن أن تؤدى إلى تطورات ليست فى صالحنا على الإطلاق .

نظر إليه العميد " فوزى الفقى " فى صمت : إن حالة نادر ما زالت مُبهمة ، وإن كان الطبيب يحاول إقناعه أنها مستقرة ولكنه يكذب .

دخلت الغرفة ممرضة تستدعى الطبيب ليرى أحد المرضى ، استأذن الطبيب ثم انصرف ،

نظر العميد إلى الضابط فى تساؤل :

* والآن أريد أن أعلم كل ما حدث بالضبط .

- لقد وجده أحد قائدى السيارات مُلقى بالطريق الصحراوى فأحضره إلى هنا بأقصى سرعة ولقد كان فى حالة مُزرية بالفعل ؛ جسده مغطى بالدماء ومُمتلئ بالجروح ، فأدخلوه غرفة العمليات سريعًا ، وبعد خروجه منها استطعت الحصول على أقواله بصعوبه ومنها عرفت عمل وعنوان سيادتك فأرسلنا إلى مديرية أمن القاهرة فورًا لاستدعائك ؛ ثم بعد ذلك فقد الوعى وسقط فى تلك الغيبوبة و.... قاطعه فوزى :

ولكن ألم يقل ما الذى حدث لابنتى ؟

قال فى تردد :

- فى الحقيقة لقد قال أو ... إننى بالفعل لا أستطيع تحديد حقيقة ما حدث ؛ فلقد تكلم بالفعل عن أشياء كثيرة منها أختفاء أبنتك ، ولكن أقواله كانت مليئة بالأحداث الغريبة التى يصعب تصديقها ، ولقد قال الطبيب إن هذه الأقوال ربما نتاج لهلوسة ما بسبب أثر المُخدر ، أو بسبب ذلك الارتجاج الذى أصاب مُخه ! .

* ما الذى تعنيه بالهلوسة .. ؟ هل كان نائما أم مستيقظا ويعى تماما ما يقوله ؟!

- لقد كان بالفعل مُستيقظاً، ولكن كل ما قاله كان غريبًا للغاية وتصديقه يُعد جنونًا ؛ لذلك لن أستطيع أن أؤكد لك أين ذهبت أبنتك إلا إذا استجوبته مرة أخرى .

* ولكننى ليس لدى سوى تلك الأقوال لأعرف الحقيقة فى الوقت الحالى ؛ لأنه فى غيبوبة الآن .

- ولكن كما قلت لك يا سيادة العميد إن هذه الـ .....

قاطعه فى لهجة آمره وعقله يبحث عن أى قشة يتعلق بها ليعرف مكان ابنته المفقودة :

* أريد أقواله كلها حالاً ثم دع لى بعد ذلك مُهمة تصديقها أو تكذيبها ، هل فهمت ؟!

وأحضر له الضابط الأقوال .. أقوال نادر زوج ابنة فوزى الفقى ، وبالفعل كانت هذه الأقوال تتعدى حدود الحقيقة وتتعدى حدود الجنون ، لقد كانت هذه الأقوال ببساطة نوعًا من العبث ... عبث مُخيف .

*****

أقوال نادر سليمان :

الطريق أمامى كان يبدو طويلاً جدًا ، وكأنه لن ينتهى ابدًا. الجبال تمتد عن يمينى فى سلسلة طويلة سوداء ، وعن اليسار أشعر بقرب ساحل البحر منى وأتخيله فى هذا الظلام وقد بدا كمستنقع هائل ، حتى أمواجه أتخيلها سوداء مُفزعة تتحطم على صخور عملاقة رمادية اللون .

أنظر أمامى فلا أرى سوى مساحة مُضيئة صغيرة تصنعها مصابيح العربة ، وخلف ذلك لا يوجد سوى الظلام ، ظلام الطريق الصحراوى الخالد الذى تقطعه بعض أضواء السيارات التى تمر بجانبى كالسهام .

بالتأكيد هؤلاء السائقون كانوا فى قمة نشاطهم أما أنا فأكاد أسقط من فوق عجلة القيادة من فرط التعب والإرهاق .

كانت زوجتى نائمة بجانبى ، وكان ذلك يمثل إغراء كبيرًا لى كى أنام وأنسى كل شىء عن القيادة وعن الطريق الصحراوى ، وعن ذلك الظلام بالخارج .

لقد انتهزنا فرصة يومى الأجازة لنقضيهما فى شرم الشيخ لقد كانا يومى الخامس والسادس من أكتوبر ولحسن الحظ كان يوم الجمعة هو اليوم الخامس ، وبدا يومين من الراحة اللذيذة على شواطئ شرم الشيخ فرصة لا تُعوض .

وبالفعل ذهبنا من مدينتنا الطور إلى شرم الشيخ ولكن فجأة جاءت تلك المُكالمة فى هذا الوقت المتأخر من الليل لتخبرنى

أن أحد أشقائى أصيب فى حادث ما وذهب إ لى مستشفى الطور لكى يجرى عملية عاجلة ، وتهاوت الحاجة إلى الراحة والاسترخاء فى أعماقنا وحل مكانهما القلق والحُزن ، ولم يكن هناك حل سوى العودة إلى الطور للاطمئنان على أخى .

مذياع السيارة كان هو مُنقذى الوحيد حتى لا اقع فريسة للإرهاق ؛ أدرت مُفتاحه كانت السيمفونية الخامسة لبيتهوفن تزأر على موجات الإف إم .. كانت تصرخ بصوت مُدو ، ومع ذلك أدرت مُفتاح الصوت إلى أقصى درجة ، أخذت أحرك يدى مع ضربات السيمفونية ، أصرخ كفنانى الأوبرا لكى أظل مستيقظاً ، الصوت كاد يحطم السيارة ومع ذلك زوجتى لم تطرف بعينيها . كم أحسدها ! أحاول أن أركز مع السيمفونية وإيقاعها المرتفع ولكن ذهنى يشرد لثوان ، وأنسى كل شىء ويعاودنى تعبى وألمى، وكلما تخيلت الصمت والبرودة بالخارج وقارنتهما بدفء وصخب الداخل ارتعد جسدى فزعًا .

ولكن صرخات السيمفونية تعيدنى إليها كالمغناطيس وتخطفنى عبقرية بيتهوفن من أحاسيس الألم والحزن ، وتعطينى العربات التى تمرق بجانبى فى سرعة رهيبة الشعور أننى فى سباق فورميلا للسيارات وليس فى الطريق الصحراوى فى الواحدة صباحاً .

سيارتى كانت تسير كسلحفاة عجوز حاولت أن أضغط على دواسة البنزين لكى أزيد من سرعتها ولكن قدمى كانت

كقطعة من البسكويت وذهنى كان مُشتتا للغاية ، يفكر فى ملايين الأشياء فى نفس الوقت ولكنه لا يتخذ قرارًا واحدًا إلا بصعوبة وسط هذا الإرهاق .

السيارة كانت تبطئ أكثر، تساءلت : هل فرغ البنزين ؟! حاولت أن أزيد السرعة قليلاً ولكن لا فائدة الخزان ممتلئ بالبنزين ما هى المشكلة إذن ؟! السيارة تبطئ ، وتبطئ وأحاول أن أفعل شيئًا ، اتجهت بصعوبة نحو جانب الطريق ثم خمدت حركة السيارة تمامًا ، وانطفأت مصابيحها وتوقفت السيمفونية الخامسة وبدا أن حظى اللعين يطاردنى أينما ذهبت ، وهاجمتنا جحافل الظلام والخوف بلا رحمة !

صرخت لاعنا هذا الطريق وهذه السيارة ، هززت كتف زوجتى فى عصبية :

* استيقظى ..! نادين .. استيقظى !

كان وجهها يتحرك حركة كسولا بطيئة فتحت عينيها وهى تلوح بيديها وكأنها تطرد ذبابًا وهميًا ثم قالت بصوت مُفعم بالتثاؤب :

- ماذا ؟!.. هل وصلنا بهذه السرعة ؟

* وصلنا ؟!!.. نحن ما زلنا فى منتصف الطريق !

بدت وكأنها استعادت يقظة حواسها بعد سماعها لهجتى الغاضبة فقالت فى قلق :

ـ ما الذى حدث ؟ لماذا توقفت إذن ؟!.. زفرت فى عصبية قائلاً :

* العربة مُعطلة ! نسج القلق خيوطه على وجهها وهى تقول :

ـ يا لها من مشكلة ! وما الذى ستفعله الآن فى هذه المنطقة الخالية ؟ ألا تستطيع إصلاحها أو....؟

قاطعها فى سخرية :

* نادين ، تعلمين تمامًا أن معرفتى بإصلاح السيارات كمعرفتى باللغة اليابانية ، ثم صمت للحظات مُفكرًا فى شىء ما وأردفت

* ابقى فى السيارة مُستيقظة ، سأحاول إيقاف إحدى السيارات عن طريق الأوتوستوب لعل أحدهم يستطيع مُساعدتنا فى تلك الورطة .

أومأت برأسها موافقة وهى تلملم أطراف معطفها على جسدها، وتلك النظرة الحائرة ما زالت تعبث على وجهها .

فتحت باب السيارة فى بطء فهاجمتنى موجات الهواء البارد المتربصة بالخارج وتسللت رجفة شديدة إلى وجهىسرعان ما تسللت لتغمر جسدى كله وكأن دلوًا من الماء المُثلج انسكب عليه .

توقفت فى مكانى للحظات وجسدى يحاول التكيف مع هذه البرودة الشديدة وآخر لمسات الدفء تتلاشى منه.

وقفت بجانب سيارتى وأنا أشير للسيارات كالأبلة مُتطلعاً إليها فى رجاء ولكن بعد نصف ساعة كاملة ثبت فشل هذا الحل ،

فقد مرت سيارتان أو ثلاث ثم بعد ذلك اختفت السيارات تمامًا ولم أخرج بأى نتيجة سوى تجمد أطرافى وازدياد حدة الإرهاق .

رجعت الى السيارة ، سألتنى زوجتى وقلقها يتضاعف :

ـ ألا يوجد حل أخر ؟! اتخذت مكانى أمام عجلة القيادة قائلاً :

* سأحاول مع السيارة مجددًا ! .

ولكن السيارة كانت ميتة تمامًا ، وبدت كقطعة ضخمة من الخردة التى من المستحيل أن تتحرك ولو سنتيمترًا واحدًا .

نظرت إلى ساعتى فوجدتها الواحدة والنصف صباحًا ، ثم خرجت من السيارة سمعت نادين تهتف :

ـ ما الذى ستفعله الآن ؟!

* سأسير على إمتداد الطريق لعلنى أجد أى محطة بنزين وتكون المُعجزة ! قلتها وأنا أبتعد عن السيارة .

لقد كنت أبحث عن سرابٍ ، أعلم هذا جيدًا ؛ لأننى أتيت من هذا الطريق بضع مرات تجعلنى أجزم بما لا يدع أى مجال للشك أن أقرب محطة بنزين تقع على بعد تسعة كيلومترات من هُنا، ووضعت يدى فى جيب معطفى وأنا أتقدم فى صعوبة بسبب الرياح الشديدة ، التى بدت وكأنها تدفعنى دفعاً للعودة إلى السيارة.

لم أستطع اختراق تلك الظلمة ببصرى أو أن أرى أى شىء على امتداد الأفق، ولكنى مع ذلك صممت على عدم التراجع لأنه ليس هناك حل آخر

أثناء سيرى عبرت سيارة ما عن يسارى فى سرعة متوسطة إلى حد ما كدت أعدو نحوها أو أصرخ مستنجدًا بصاحبها ولكن يأس ما امتلكنى وكتم صيحة الاستنجاد فى صدرى ، يأس مصدره هذا الموقف العصيب الذى سقطت فى براثنه فأنا هنا وسط اللامكان أبحث عن شيء لينقذنى ولكن لا يوجد أى شيء للأسف ، ولن يوجد .

أدرت رأسى ناحية اليمين مُتطلعاً إلى سلاسل الجبال فى رهبة . تشبثت بمعطفى في قوة وكان يتطاير بسبب تلك الرياح الشديدة ثم نظرت نحو الطريق مُجدداً والـ ، . مهلاً ، . ما هذا بحق السماء ؟!

أدرت رأسى لليمين مرة أخرى . توقفت عن المسير فجأة كما لو أن صاعقة هبطت على جسدى وأوقفت حركة الزمن. تصاعدت أنفاسى فى انفعال حقيقى لم أحدد كنهه ، هل هو انفعال الفرح ، أو انفعال من فرط المُفاجأة ..

تطلعت وأنا غير مصدق لما أراه ..، فعلى بعد خطوات قليلة منى ، كان يقبع هناك وسط السواد وفى أحضان سلاسل الجبال مبنى ضخم ، هائل الحجم بدا وكأنه برز من الفراغ أو كأنه سقط من فوق إحدى القمم، مبنى لم أره من قبل فى حياتى ، مبنى يلفه الظلام فأخفى ملامحه ، واتشح بالصمت فأغرقه غموض خرافى لم أعهده من قبل .

لم أشعر إلا بجسدى وهو ينتفض من فرط النفعال وأقدامى تتجه فى سرعة نحو المبنى وكأننى أخشى أن يتلاشى أو يختفى فجأة ويتركنى مجدداً تائها ضائعاً أبحث عن حل لمأزقى ، واقتربت منه بخطوات سريعة وعقلى يبتهل أن أجد هناك أية وسيلة لإنقاذى ، ولكننى كنت مخطئاً ؛ فهناك بدأت المأساة ، المأساة الحقيقية .

*****

اقتربت فى وجل من هذا المبنى الغامض واتجهت نحو بوابته المعدنية الضخمة ووجدتها مفتوحة على مصرعيها.. عبرتها ثم دخلت المبنى بخطوات حذرة لم يكن هناك فرق بين الداخل والخارج فالظلام لا يعطى فرصة لأى شخص لاكتشاف ملامح أى شىء وإن كنت قد كونت إستنتاجًا ما فى عقلى أن الحجرة التى أسير فيها الآن هى قاعة استقبال ضخمة .

* هل يوجد أحد هنا ؟!

قلتها وأنا أتقدم بنفس الخطوات البطيئة مخافة الاصطدام بأى شىء لا أراه لم يجبنى سوى صدى الصوت ، يدوى بين الجدران بضع مرات ثم يتلاشى وسط الفراغ .

أشعلت قداحتى ، وعلى ضوئها القليل اكتشفت أننى وسط قاعة ضخمة عارية تماماً من الأثاث ، خالية من أى شىء على الإطلاق، مجرد جدران من الطوب الأحمر الذى أكد لى أن حظى الأسود ما زال يطاردنى ، فالمكان الوحيد الذى كان يمثل زورق

النجاة بالنسبة لى كان مكانًا مهجورًا ، أو مجرد هيكل لبناء ما زال تحت الإنشاء .

تراجعت فى بطء نحو باب الخروج ، و فجأة صدر صوت ما ، صرير حاد مزعج اخترق أذنى .

التفت فى ذعر ، فوجدت الباب المعدنى يندفع بقوة ليرتطم بمزلاجه ، وانغلق الباب تاركًا إياى حبيسًا بالداخل داهمنى إحساس قاس من الخوف .

اتجهت نحو الباب فى سرعة و ، صدرت فرقعة عنيفة خلفى ؛ أدرت رأسى ، تطايرت قطرات العرق ، خفق قلبى بشدة وأنا ألمح على ضوء قداحتى الضئيل كيانًا بشريًا ضخم الجثة يقترب بلا ملامح ، يقترب فى هدوء مثير.. حتى أن خطواته كانت بلا صوت وكأنه يزحف على الأرض .

* من ، من أنت ؟

لم يجبنى ، فدفع هذا بخوف رهيب جرى فى عروقى ممتزجاً بالدماء ، عقلى كان فى حالة من حالات التأهب القصوى الإدرينالين كان يتدفق فى جسدى ويجعل عضلاتى ترتجف إرتجافة خفيفة ، وبرغم برودة الهواء ، فإن حرارة داخلية كانت تنبعث من أعماقى وتجعلنى لا أحتمل جسدى وكأننى أبغى الخروج منه ، بدت المسافة بينى وبين البوابة لا تنتهى .

خطواتى المُسرعة لم تكن مستقيمة ، إحساسى بالفزع جعلها تهتز وكأننى راقص ما أتمايل على مسرح مُغطى بالنيران.

الكيان البشرى الذى لا أستطيع رؤية ملامحة ما زال يقترب ، سمعت صوتًا آخر ، وكأن أحدهم يحرك حجرًا عملاقًا عن مكانه، نظرت حولى و.. يا إلهى!! كدت أسقط أرضًا من المفاجأة .

جدران القاعة كانت تقترب من بعضها ، كانت تضيق وتضيق ، وكأنها تبغى سحقى ، كانت تقترب فى هدوء وكأن أذرعًا عملاقة تدفعها نحوى .

صرخ عقلى وساقاى ترتعدان من فرط الرعب وأنا أعدو نحو الباب . الكيان البشرى مُستمر فى الزحف نحوى ، بلغت الباب فى تلك اللحظة..

إنه على بعد خطوات منى ، والجدران تضيق ، والمساحة تتضاءل . أمسكت بمزلاج الباب ، ولكنه صدئ ، وثقيل للغاية . القاعة الضخمة أصبحت مساحتها كمساحة حجرة صغيرة . سمعت صوتًا آخر وأنا أحاول مع الباب ثانية التفت لأجد الكيان البشرى الضخم خلفى تمامًا وضوء خافت شق ظلمة المكان يبرز من جسده.

كان رجلا ضخم الجثة ولكنه لم يكن رجلا عاديًا ، كانت ملامحه رهيبة بشعة ، جلد وجهه كان مُجعدًا بطريقة غريبة، كان مُحترقاً بأكمله وملامحه كانت مُختلطة ببعضها فى صورة رهيبة ..

نصف وجهه كان مُجرد ملامح منصهرة وكأنها خرجت لتوها من النيران أو كأن أحدهم سكب كمية هائلة من الأحماض

عليها ، ونصف وجهه الآخر كانت ملامحه مشوهه تمامًا.. مجرد بقايا عين مطموسة وأنف محطم تماماً وفم يكاد يبلغ عنقه وأسنانه المتبقية لامست أنفه ، لقد كان هذا الرجل أبشع شيء شاهدته في حياتي كلها . صرخت وأنا أحاول مع الباب في محاولة يائسة وأنا أشعر بشئ له ملمس غريب يمسك كتفي ، إنه، يا إلهي !! القاعة تكاد جدرانها تلامسني ، ولكن ، حمداً لله لقد انفتح الباب ، تخلصت بصعوبه من الشئ الذي يمسك كتفي ، ثم دفعت البوابة بصعوبة بسبب تلك القاعة التي تضاءلت.

انفتح الباب فانطلقت أعدو نحو الخارج ، أعدو كما لم أعدُ من قبل في حياتي ، لم إلتفت خلفي ، بل فقط أستمررتُ في العدو ؛ كنت مُجرد آله للعدو والرمال تتناثر حول قدمي وعيناي تحاولان اختراق ذلك السواد .

كنت أتجه نحو المكان الذي تركت فيه السيارة ولكن .. رباه ... أين السيارة ؟! .. قطع تساؤلي صرخة رهيبة انطلقت تشق الظلام ..

التفت خلفي وكل جسدي يهتز بسبب كل هذا الخوف فوجدت أكبر كابوس ممكن أن أراه ، الصحراء الصامتة .. الساكنة كقبر تحولت إلى قطعة من الجحيم ، تحول كل صمتها إلى ضوضاء رهيبة وكأنها تضج بآلاف الأرواح ، عشرات الأضواء الهلامية برزت بغتة من العدم وأحاطتني بصرخات جهنمية ... رأيت مئات من الأجسادالبشرية بلا ملامح تطير في

الفراغ .. سواد الطريق الصحراوىتحول إلى كتلة من اللهب وعشرات الأطياف تهيم كالجوارح حولى ، أطياف لم أر أفظع منها فى حياتى .

توقفت بلا حراك والفزع يجمدنى تمامًا ، ولكننى استجمعت إرادتى ، تصلبت عضلاتى وأنا أدير رأسى فى أرجاء هذا المكان الجهنمى باحثًا عن السيارة وهناك وجدتها بجانب ذلك المبنى تربض وسط الرمال..

صرخت : نادين !! ثم عدوت نحو السيارة فى جنون .. بلغتها فى ثوانى .. فتحت بابها و.. لم أجدها ، نعم ، لم أجد زوجتى ، صرخت بلا وعى : نادين .. نادين.. أين أنت ؟

قفزت دموع ملتهبة من حدقتى ، تلفت حولى كالتائه .. لا أعرف ماذا أفعل وسط هذا الحفل الخرافى . قفزت بداخل السيارة وأنفاسى تتابع ، لمحت نفس الكيان البشرى المشوّه يخترق حشد الأضواء ويقترب منى ، فأغلقت كل النوافذ والأبواب جيداً وأنا أصرخ بلا توقف : يا إلهى ، نادين ، ماذا فعلوا بك؟!

اتجهت يدى نحو مُفتاح السيارة كى أديرها ، ولكننى تذكرت أنها مُعطلة برغم ذلك أدرته وعقلى يستنجد ، ويبتهل إلى الله ، وكمُعجزة ما دارت السيارة ، حاولت مع عجلة القيادة ولكن السيارة لم تستجب لى ، بل دارت حول نفسها دورة كاملة ، ثم انطلقت إلى الأمام مُتجهة نحو الجبال ..، تحركت وكأن قوى شيطانية تعبث بها وبى ، حاولت معها ولكن بلا فائدة . حاولت

أن أسيطر عليها ولكن .. يا إلهى بدا أنها ستصطدم بذلك الحائط الجبلى، ولكنها دارت حول نفسها مرة أخرى ، ثم انطلقت نحو المبنى الغامض .

حاولت أن أفتح الباب ولكن محاولاتى ذهبت أدراج الرياح ، سرعة السيارة كانت تزداد.. وتزداد ..، حاولت أن أفعل مئات الأشياء وفشلت ، حاولت مع عجلة القيادة ولكن السيارة واصلت تقدمها نحو المبنى، اقتربت منه بسرعة رهيبة.. اصطدمت بالجدار الأحمر العملاق ، تحطمت مُقدمتها . اهتزت العربة فى قوة .. وهاجمتنى آلام حادة .. شعرت بآلاف المطارق تهوى على جسدى .

اندفعت للأمام لأصطدم بعجلة القيادة وشعرت بضلوعى تكاد تتحطم الواحدة تلو الأخرى .

لمحت النيران تشتعل فى مقدمة السيارة ، فحاولت مع الباب مُحاولة يائسة أخيرة ، فانفتح على الفور ، خرجت من السيارة زاحفاً ، سقطت أرضاً ، فزحفت على ظهرى مُتراجعاً عن السيارة ، ثم ، كان الانفجار مروِّعًا ! .

*****

سيارتى كانت كالجديدة تمامًا .. لقد صارت رائعة ! كنت أنطلق بها بأقصى سرعة والسعادة تملؤنى ، نظرت بجانبى فوجدت نادين قد استيقظت ، كانت تضحك بلا سبب . لذلك أحببتها .. لتفاهتها ! كما أنها كانت جميلة أكثر من اللازم ..

لماذا ازدادت جاذبيتها هكذا فجأة؟! .. وأخى كان يجلس فى المقعد الخلفى ، لقد خرج من المستشفى ولكنه سليم ويبدو فى أتم صحة، وهو أيضاً كان يضحك فى سعادة ، وأغرقتنا كريزة من الضحك، ثم رأيت شخصًا وسيمًا عيناه سوداوان ووجهه ناصع البياض ، إنه مسافر بالأوتوستوب لذلك توقفت له فى سرعة ، إننى متعاون جدًا مع هؤلاء الغرباء ولكنه كان صموتًا جلس بجانب أخى الذى أخذ يضحك مُجددا وهويشير للغريب وضحكت أنا أيضًا وتنتشر عدوى هذا الضحك السخيف فى السيارة ولكن الرجل الغريب لم يضحك بل أخرج مُسدساً.. آه .. هذا اللئيم ! .. إنه يريد أن يقتلنى.. أنا جاهز للقتل .

تركت عجلة القيادة ، وأدرت رأسى للخلف قائلاً له فى سخرية : مهما فعلت فلن أموت !

انطلقت الرصاصات نحوى ، ولكننى طفقت أضحك بلا توقف مُردفًا :

* إنه حلم أيها الأبله ، حلم ، حلم ! تردد صدى الكلمة بلا نهاية فى خلايا عقلى ، إنه حلم .. حلم سخيف .. وفجأة هبطت صفعة هائلة على وجهى ، وتلاشت أخر ذرات الحلم من رأسى .

حركت رأسى فى بُطء ودمائى تحتشد فى وجهى الذى شعرت به ساخنًا متورمًا أما الألم فى صذرى فكان لا يُحتمل .

حاولت أن أفتح عينـى و.. مـاء سـاخن ، مُلتهـب كشـلال هبط من الجحيم أغرق وجهى وصدرى ،

صرخت فى ألم ، وأردت أن أرفـع يدى لأحمـى وجهـى فاكتشفت أنها عاجزتـان عـن الحركـة ... تسـاءل صـوت فـى أعماقى... :

* ما الذى يحدث هنا ؟!

أحسسـت بعينـى مُلتهبتيـن .. ثقيلتيـن .. ووجهـى يفيـض بالألم ، لبثت لثوان مُغلق العينين وذكريات رهيبة تتدافع فى خلايـا مُخـى .. تذكـرت المبنـى الغـامض ، والعبـث الجهنمـى الـذى هاجمنى، تذكرت اختفاء زوجتى ثم انفجار السيارة .

استجمعت كل قواى التـى غرقـت فـى الألـم ، ثـم فتحت عينى أخيرًا .. وجدت نفسى فى نفس القاعـة الهائلـة التـى دخلتهـا فـى المبنـى الغـامض ، نفس القاعـة الكابوسية التـى بـدأت فيهـا مأساتى .

كـانت تشـع بضـوء خـافت يصـدر مـن لا مكـان ، ولكنـه يجعل المرئيات واضحة إلى حد ما بالنسبة لعينى المُتعبتين .

فى آخر القاعة لمحت بابًا معدنيًا هائل الحجم ، فى أعلاه قضبان رفيعة ، وتحيط بالباب عشرات الجنازير ، إنه أشبه بسجن عملاق ، كنت مُعلقاً على أحد الجدران بأغلال معدنية تكبل قدمـى وساعدى ، ذراعاى مفرودتان عن آخرهما وتصنعان زاوية قائمة

مـع جسـدى ، بينمـا سـاقاى مُتلاصقتـان.. كنـت مصلوبًـا ، نفـس أوضـاع التعذيب التاريخية المُتهالكة .

لم أكن الشخص الوحيد هنا المُعلـق بهـذه الطريقـة .. بـل كان هناك بضعة اشخاص مشدودين إلى الجدران بنفس الطريقة.. رءوسهم تتدلى على أجسادهم ومن أفواههم تخرج تأوهات مُتقطعة مُفعمـة بلمسـات العـذاب ، وأمـام عينـى لمحـت بضعـة رجـال يتحركون فى أرجاء القاعة ، كانت الرؤية ما تزال مشوشـة قليـلاً أمامى ، ولكنـى استطعت إدراك ملامـح الرجـال العامـة .. كـانوا يرتدون ملابس عسـكرية غريبـة .. إنهـا ... صفعـة أخـرى علـى وجهى كادت أن تحطمه :

- هل اعترف ؟!

قـال هـذا السـؤال أحـد الرجـال بصـوت أجـش للغايـة ، فأجاب آخر :

- لا ... ليس بعد .
- حسنًا حل قيوده !

اقترب منى بعضهم ، أحاطتنى الملابس العسكرية كنـت مستسلمًا تمامًـا لمـا يفعلونـه ، لـم أكـن أملـك ولـو ذرة واحـدة مـن المقاومة ، أزاحوا القيود عن يدى وقدمـى ؛ شـعرت بجسـدى وقـد صـار طليقًا ؛ انتهت سيطرة الأغلال فتركت جسدى يتهاوى أرضًا بلا أدنى محاولة منى للنهوض كانت الحالة التى أمر بها تتلخص فى كلمة واحدة فقط ، (الألم) .

تمنيت أن أموت أو أتلاشى فى فراغ هذا العذاب . ولكن لم يتغير أى شيء كنت راكعاً على ركبتى أحاول استنفار طاقتى.. وبغتة سمعت أصوات ضربات وركلات تتهاوى على جسد ما .. ودوت فى القاعة صرخات بشرية . اقترب أحدهم منى ، طوّح ساقه فى الهواء ثم أحسست بضربة قوية تصيب معدتى ..

ثنيت جسدى فى ألم .. تأوهت .. ثم سقطت على ظهرى أسعل بعنف اعتدلت بجسدى ثم هتفت من وسط سُعالى :

* كفى .. كفى ! ماالذى يحدث هنا ؟ .. أين أنا ؟!

سمعت أحد الرجال المُعلقين على الجدار يصرخ فىألم ..

- ألا تعرف بالضبط أين أنت ؟! ..

رفعت رأسى لأرى من يُكلمنى .. وصرخت : لا ... لا أعرف !

صوت سوط يسقط على جسد أحد الرجال .. وصرخات لا تنتهى .

- ألن يريه أحدكم كيف نُجيب عن الأكاذيب ؟!

لسعة حارقة أصابت عُنقى ، التفت فى سرعة ولكن لكمة عنيفة انفجرت فى أسنانى .. ومذاق الألم الصدئ يغمر فمى.

-أرخص من مطفأة السجائر .. أليس كذلك ؟!

أردت أن أنهض ، تحسست يدى موضع لهب السجائر فى عُنقى .. الرؤية المُهتزة أمام عينى كانت تزداد ثباتًا وجسدى يبذل أقصى جهده لاحتواء آلامه :

* أيها الأوغاد .. ستدفعون الثمن غاليًا.. أيها الـ ... ولكن ركلة أخرى أصابت جسدى ونفس الصوت الأجش يتكلم :

- إن عقابنا قاس للغاية للذين يقتحمون خصوصياتنا ويتّجسسون علينا ثم أشار إلى الرجال المُعلقين على الجدران مُردفًا :

- وكما ترى بالضبط .. لست الوحيد هنا !

قالها وهو يشير إلى شخص ضخم بجانبه إشارة خاصة وهو يغادر المكان ، حاولت النهوض ولكن لكمة أخرى تقضى على آخر قطرات المُقاومة فى جسدى ودفعتنى لأصطدم بالجدار..

ارتطم رأسى بالقيود المعدنية المُثبتة بالحائط ، هاجمنى ظلام داخلى ، ودارت رأسى ، ركلات شرسة لم ترحمنى أستهدفت كل منطقة فى جسدى ..

ثم.. لم أعد أتذكر أى شىء .. أى شىء على الإطلاق .

*****

" سيحتمل المزيد " أول كلمتين حطمتا الحاجز الرفيع بين فقدان الوعى واستعادة يقظة الحواس سمعتهما بصعوبة فى البداية ولكن سرعان ما استعادت حواسى شبه نشاطها التقليدى .

تفجرت أسئلة ما فى أعماقى ، من الذى سيحتمل المزيد؟! والمزيد من ماذا بالضبط ؟!

فتحت عينى ، فوجدتنى مُمددًا على فراش خشبى مؤلـم ، وشخص ما يمسـك بيـدى ليختـبر نبضـى ، صـوت أجش مـألوف لأذنى تساءل :

- إذن ماذا عن كل هذا الصراخ وفقدان الوعى ؟! قال الرجـــل وهو يترك يدى :

- كـل هـذا مُجـرد عبـث ، إن مـا فعلتمــوه بــه يعتـبر لا شــىء بالنسبـــة لقوة جسده سيحتمل جسده أضعاف ما حدث .

* أضعاف ماذا ؟! عم يتكلم هذا الرجل ؟!

- حسنًا إذهب أنت الآن !

ثم غادر الرجل الذى اختبر جسدى الغرفـة فـى خطـوات سريعة ، أدرت وجهـى لأرى نفس الشـخص الـذى كـان يُصـــدر الأوامر فى البداية واستنتج عقلى المتعب أن هذا الرجل هو قائد وزعيم تلك الجماعة التى ترتدى تلك الملابس العسكرية الغريبـة ، وكونـت احتمـالاً مـا أننـى فـى معسـكر مـا ، وأن هـؤلاء الرجـــال يعـاملوننى كمـا لـو كنـت جاسوسـاً ، ولكـن كيـف جئـت إلـى هــذا المكان؟ كيف ؟!

إن آخر شىء أتذكره هـو ذلـك المبنـى الغـامض ثـم ذلـك الانفجار الذى حطم سيارتى .. إن ... توقفت فجأة عـن التفكـير ، فلقد انتبـه الرجـل إلـى أننـى اسـتعدت وعيـى فنظـر إلــى وجهــى وابتسامة مقيتة تغزو ملامحه الباردة :

- أرأيت ؟ ، الكل يستنكر ما تفعله هنا ، ما كل هذا الصـــراخ

وفقدان الوعى ، ألست رجلاً ؟!

قال ذلك وهو يتراجع للوراء ...، جلس على مقعد خشبى بصورة معكوسة وكأنه يعتلى صهوة حصان ، وارتكز بمرفقه على ظهر المقعد وعيناه لا تزالان تحدقان فى وجهى .

اعتدلت بجسدى لأجلس على طرف الفراش ، نظرت خلفى فرأيت رجلين عملاقين يتطلعان إلى الفراغ فى برود ، كانت حجرة صغيرة لا تحوى سواى وثلاثة الرجال .

* من انتم؟!

قلتها بلهجة يملؤها الخوف وجسدى يرتجف بصورة لا إرادية من فرط الألم مُنتظراً المزيد من الضربات .

- نحن عملك السيئ !

تذكرت بغته شيئًا ما ، فهتفت :

* أين زوجتى ؟!

- إنها فى الغرفة التى تجاورنا بالضبط ... ولكن ...

صمت لحظة ، ثم أردف وعيناه تراقبان ملامحى كالصقور :

- " إن زوجتك تلك كارثة حقيقية ، لقد كاد جمالها أن يسبب مشكلة بين رجالى ، أنت تعلم بالطبع أنهم يشعرون بالوحدة ، وأن أى وجه أنثوى قد يجعلهم ينفجرون ، ولكن إطمئن لقد أبعدتهم عنها لسبب قوى للغاية وهو أننى أريدها وحدى !"

سألته ودمائى تكاد أن تذيب الأوردة من فرط غليانها :

* ماذا تقصد بالضبط ؟! ، قال فى تحد سافر :

ـ أقصد نفس الشئ الذى تفكر فيه .

نهضت كالملدوغ وهجمت عليه :

* أيها الحقير !

ولكن قبل أن ألمسه توقف جسدى عن الحركة بغتـه ، ثم طار فى الهواء مُتراجعا للخلف واصطدمت بالفراش الخشبى ، وتصاعد ألم عنيف إلى رأسى، وعيناى تلمحان أحد العمالقة ينفض يده .

ـ إنك ثقيل الفهم لدرجة غريبة ، إنك لا تريد أن تفهم أنه لا سبيل لإستخدام العُنف هنا ...، نحن فقط الذين نستخدمه وأمثالك يقفون موقف المُتفرج فقط هل فهمت ؟!

بصقت دمًا وجسدى لا يملك حتى القوة للنهوض من الأرض : ماذا تريدون منى بالضبط ؟!

ـ ألم تعلم حقًا ؟!

* كل ذلك من أجل النقود ، أليس كذلك ؟!

ـ أية نقود ؟!

* اختطفتمونا وتريدون فدية !

انفجر ضاحكًا :

ـ نقود ؟ .. فدية ؟ .. يا إلهى .. إنك أغبى مما توقعت، أية نقود تلك التى تتكلم عنها ؟ إذا كنت أنت تريد نقودًا فنحن على استعداد أن نغرقك بها ولكننا لا نريد نقودك القذرة ، بل نريد معلوماتك !

نظرت إليه في تساؤل :

* معلومات عن ماذا بالضبط ؟!

- فلنرى ..، أولاً معلومات عنك وعن الجهة التى أرسلتـــــــك للتجسس علينا ، ثانيًا معلومات عن الجماعة التى تنتمى إليها.

* صدقنى كل هذا ليس له أدنى علاقة بالتجسس ، إنه مجـــــرد خطأ لقد تعطلت سيارتى بالخارج وجئت هنا لأجد مُساعدة ، عندما حدثت لى تلك الأشياء الغريبة وانتهت بانفجارسيارتى ، هذا كل شيء ، أنا الذى أحتاج لأفهم كل ما حدث ويحـــدث لـــــى هنا ، انا الذى أحتاج لمعلومات حتى لا أفقد عقلى ، إننــــــى حتى لا أعرف أين أنا !

- بداية خاطئة .

* ماذا تعنى ؟!

- أعنى أنك لو بدأت بالكذب فستنتهى بالموت .

* أقسم لك إننى أقول الحقيقة .

تنهد في قوة وهو ينهض عن المقعد ثم يقترب منى :

- حسنًا ، لنتأكد من حُسن نواياى سأتغاضى عن السؤال الأول ، ثم مد يده لينهضنى من على الأرض مُستطردًا :

- ولنهتم بالسؤال الثانى وهو انتماؤك .

* ما الذى تعنيه بإنتمائى ، إننى لا أفهم أى شيء .

- " تريد إقناعى بأنك لا تفهم أى شيء ؟حسنا "سأجعلك تفهم !"

قالها وهو يلتفت إلى أحد الرجلين قائلاً له :

ـ أعتقد أن عقله الضعيف فى حاجة إلى مُقوى للذاكرة ، لذلك أحضروها لى !

خرج الرجل من الغرفة ، وبعد ثوان انفتح الباب وبرز رجلان أخران تتوسطهما زوجتى . نادين !!

نطقت اسمها فى لهفة وأنا أكاد أعدو نحوها ولكن قبضة قوية أرغمتنى على الجلوس فى مكانى ومنعتنى من الحركة .

ـ تعالى ، اجلسى هنا !

قالها القائد بلهجة آمره عنيفة وهو يشير إلى أحد المقاعد...

فجلست عليه نادين فى طاعة . هتفت :

* نادين ؟! .. ماذا بك ؟! ولكنها لم تجب .

كانت نظراتها تائهة ضائعة ، تتطلع إلى الفراغ .. لم تحاول حتى النظر نحوى ، مع أننى ناديت باسمها مرارًا . كان جسدها يرتجف فى غرابة ، وشعرها الطويل يتناثر على وجهها الشاحب ، أفلت بجسدى من القبضة التى تقيدنى ثم هرعت إليها ، أمسكت بكتفيها وأنا أهزها فى قوة صارخة :

* نادين أجيبينى أرجوك ، ما الذى حدث لك ، ولكنها لم تخرج عن صمتها.

نظرت إلى القائد فى مقت :

* ما الذى فعلتموه لها أيها الأوغاد .

هز كتفيه بلا مبالاة قائلا بهدوء :

ـ لم نفعل لها شيئاً ذا أهمية ، كل ما هنالك أن هذه المُتمارضة

تعرضت لتيار كهربى ضعيف .

اتسعت عيناى فى ارتياع . هتفت وأنا على شفا الانهيار:

* صعقتموها ؟!

- إنه نوع من العبث كوخزة دبوس !

ركعت أرضًا وعقلى لا يصدق تلك الوحشية وأنا أردد بألم :

* صعقتم نادين ؟!

نهض من مقعده فى عصبية وهو يتجه نحوى فى خطوات غاضبة :

- والآن أريد اعترافًا بكل شىء ! .

صرخت فى وجهه :

* اذهب إلى الجحيم ! .

تابع وكأنه لم يسمعنى .

- أريد اعترافًا عن حقيقة وجودك هنا وعن انتمائك وجماعتك ، أريد اعترافًا بكل شىء.. !

صرخت والغضب يكاد يسحقني :

* أقسم إننى سأنتقم منكم كلكم ، سأذيقكم أضعاف ما فعلتموه بى وبزوجتى.

بصق على الأرض فى احتقار :

- غبى .. ! إنك غبى للغاية ، ولكننىلا ألح فى مطلبى أكثر من هذا ، ولكن تذكر شيئًا هامًا ، تذكر أنك أنت الذى بدأت كل هذا ، هل تفهم ؟! أنت السبب فى كل ما سيحدث الآن !

نظر إلى الرجال قائلاً :

ـ خذوها إلى الغرفة الأخرى .

حملها شخصان إلى الخارج وتبعهما هو فى صمت ، ولكنه قبل أن يعبر باب الغرفة توقف قليلاً ، ثم أستدار ليواجهنى قائلاً:

ـ بالمناسبة ، إن لدى الآن لقاء خاصًا جداً مع زوجتك .... بمفردنا!

أردف قوله بضحكة عالية وهو يشير إلى أحد الرجال الذين يقفون خلفى إشارة ما .

حاولت أن أعدو نحو الباب ، ولكن أحدهم دفعنى للخلف، ثم هوت ضربه قوية على ظهرى أسقطتنى أرضاً..

زوجتى تصرخ فى هستريا ، جنزير حديدى يحطم عظامى ، صوت فستانها يتمزق ، تواصل الصراخ ، ليتنى أستطيع إنقاذها ، ليتنى أستطيع ، ولكننى ضعيف .. ضعيف ضربة أخرى فى معدتى ، صرخاتها تقتلنى ، تحطم رجولتى، إنها تسحقنى ، تُميتنى ، ضربات متوالية عِلى جسدى.. الصراخ لا ينقطع ، ليتنى كنت أصم حتى لا أسمعها..تمنيت أن أموت .. أموت ..

دعوت الله فى أعماقى أن ينتهى كل هذا العذاب و.. فقدت الوعى مجدداً ،وصرخات نادين تتردد بلا نهاية فى أذنى.

*****

عقلى كان يبذل أقصى طاقاته لاستعادة الوعى ، كان يتمنى أن يكون كل هذا كابوساً ..

كان عقلى يحاول إقناعى أننى سأفتح عينى لأجدنى فى سيارتى بجوار زوجتى فى طريقنا إلى الطور ، فتحت عينى فيما يشبه المُعجزة فوجدتنى فى غرفة أراها لأول مرة .. كنت جالسا على مقعد خشبى ، وأمامى منضدة خلفها يجلس أحد هؤلاء العسكريين ، ولكنه لم يكن القائد .

لم أكن مُكبلا بأية قيود كما أن الغرفة لم يكن بها سوانا.. كان بإمكانى الهرب ، الفرار، ولكن الكلام سهل للغاية وجسدى يحمل كل هذا القدر من الألم ، قال فى سُخرية :

- عوداً حميداً يا أستاذ ، فتح بطاقتى الشخصية المُلقاه أمامه على المنضدة مُستطرداً ... نادر ؟! أليس كذلك ... نادر سليمان؟!

إلهى .. كم أتمنى أن اذيقه ولو قطرة واحدة من الألم الذى يعتصرنى ، أن أنقض عليه وأسحقه بقبضتى ، كنت أنظر له فى برود وعيناى أشعر بها مُنتفختين ووجهى كل شىء فيه قد تغير ، لمست شفتى السُفلى فوجدت شقاً طويلاً يقطعها والدم المُتجلط يغطى وجنتى بكثافة ، فى حين ما زالت قطرات ساخنة من الدماء تتساقط على مؤخرة عُنقى .

- هل تعلم أنك أتعبتنا جداً ؟ إن جسدك غريب جداً يا أستاذ، ونصيحة منى أن تهتم بنظام تغذيتك مُستقبلاً ، هذا لو كان لك مُستقبل !.. قالها والابتسامة الساخرة المقيتة تغطى وجهه..

كنت أنظر إليه فى ضعف بينما أحاول أن أفكر فى كل ما حدث ويحدث، خيالات وأفكار كثيرة كانت تطوف فى عقلى.. وأنا أتذكر السيارة التى انفجرت ، أتذكر زوجتى ، الخوف والألم الذى عانيته ، هذا السجن الضخم ذقت فيه ذلك العذاب ، حاولت أن أفكر فى تفسير ما .. تفسير واحد يريح عقلى حتى لو كان تفسيراً مجنوناً ، ولكننى لم أجد تفسيرًا ، أما هو فما زال يبتسم :

- ما كل هذا الضعف ؟ إنك لا تحتمل ركلتين على الأكثر ثم تفقد الوعى ، إنك ضعيف مثل زوجتك ، هل الضعف مرض وراثى يجرى فى العائلة ؟ ثم تغيرت انفعالاته ...

تلاشت ابتسامته ، ضاقت عيناه ونظرة شرسة غاضبة تحوم على وجهه، لم أر شخصاً فى حياتى يتحول من الهدوء الساخر إلى الغضب الجنونى كهذا الرجل ، قال بلهجة صارمة حادة :

- لاحظ أننى الآن أعطيك الفرصة الأخيرة للتحدث ، كان لسانى ثقيلاً ، حاولت التحدث ، فخرجت كلماتى مُتقطعة ...

* أين أنا ؟!

- أنت هنا فى الجحيم يا فتى ، لقد توفيت وهذه هى روحك تشهد حسابها الأخير ، هل أراحتك هذه الإجابة ؟

كلماتى البطيئة تخرج مرة أخرى بعد تركيز رهيب :

* ليس لديك أدنى حق فى احتجازنا فى هذا المكان أو مُعاملتنا بهذه الطريقة الوحشية القذرة .

صرخ فى وجهى : حسناً تريد التحدث عن الطرق القذرة، إذن ماذا عنك أنت ؟! ألا تسمى تجسسك على المكان طريقة قذرة ؟ ألا تُسمى معارضتك لحكومتك طريقة قذرة ؟!

تساءلت في حيرة :حكومتى ؟! من أنتم بالضبط ؟!

هتف فى حدة : أنت لا تسأل هنا ، أنا فقط الذى أسأل وأنت تجيب ، هل فهمت ، ولا حظ أن زوجتك لا زالت فى قبضتنا والذى حدث لها نقطة فى بحر ما نستطيع فعله لها ... !

ولأول مرة فى حياتى شعرت بكل هذا الكم من الضآلة.. من الضعف ..، كنت أجلس ، أشاهد ذلك الرجل يهددنى ، ولكنى لا أستطيع فعل أى شئ.

شعور رهيب أن تؤمن بأنك لاشئ ، وأن أى شخص بإمكانه تحطيمك ، بإمكانه إذلالك ، بإمكانه تدمير رجولتك ، شخصيتك، زوجتك ، بإمكانه تدمير حياتك بأكملها وأنت عاجز، حتى التفكير فى فعل شيئاً ما ، صار مُحالاً ، صار حُلماً .

لم أشعر إلا بدموع ساخنة تغرق وجهى ، ورأسى لا أستطيع رفعها، وكأننى أخشى مواجهة ضعفى ،

نظر إلى وجهى قائلاً :

- هل تعنى دموعك هذه أنك قررت أن تتحدث ؟!

* سأقول لك أى شىء تريده منى !

نهض من مقعده مُتنهداً فى ارتياح :

- عظيم ..! أنا أحب التعاون جداً .

قالها وهو يلف حول المنضدة ليجلس على طرفها على بُعد سنتيمترات منى مُردفاً :

ـ أريد أولاً معرفة اسمك الحقيقى ومهنتك .

رفعت رأسى فى دهشة :

* ماذا تعنى باسمى الحقيقى ؟ ، لقد نطقته منذ دقائق ، بطاقتى الشخصية كانت فى يدك !

التقط البطاقة بأطراف أصابعه من فوق المنضدة :

ـ أتسمى هذه بطاقة شخصية ؟!! فى الحقيقة إنه تزوير رخيص لا يستحق سوى .. مزق البطاقة فى هدوء مُستطرداً تمزيقه.. والآن لنعد لنفس السؤال .

* صدقنى ، إننى أقول الحقيقة ، أسمى نادر سليمان ، لا يوجد اسم آخر أقسم لك .

ـ حسناً سأكون صبورًا معك حتى أخر لحظة ، إلى الجحيم أنت واسمك الحقيقى، لا أريد أن أعرفه الآن ، ولكن أهم شىء هو معرفة الجبهة التى تنتمى إليها .

* ما الذى تقصده بانتمائى ؟!

عاوده نفس الغضب فصاح فى ثورة :

ـ اسمع أيها الحشرة ، لم تقل اسمك اللعين فتجاهلت هذا، ولكن عندما أسألك عن انتمائك فإننى أنتظر إجابة فى جزء من الثانية ، لا تعتقد أن الضرب هو الوسيلة الوحيدة هنا لانتزاع المعلومات ، فى هذا المكان توجد ملايين طرق الألم والعذاب والموت ، طُرق

لن تستطيع حتى أن تتخيلها وصدقنى أنك لن تحتمل إحداها ولو لثانية واحدة ، هل أستوعبت هذه الحقيقة جيداً؟ .. والآن قُل لى هل تنتمى للإخوان المسلمين ؟ هتفت فى دهشة :

* من ؟! الإخوان المسلمون ؟ هل كل هذا التعذيب لأنكم تعتقدون أننى إرهابى ما ؟! قال بدون أن يلتفت لسؤالى :

- بالتأكيد تعرف سيد قطب أو حسن الهضيبى !

* من ؟ ... من هؤلاء ؟!

- إذا لم تكن تعرفهم ، فأنت إذن تنتمى لإحدى خلايا الشيوعيين وتعرف خالد محى الدين !

* من هذا ؟ إننى لا أعرفه !

- إذن تعرف فؤاد مُرسى ؟!

هتفت مُحاولا قطع هذه التساؤلات الغريبة :

* أقسم لك إننى لا أعرف أى اسم من هذه الأسماء الغريبة.

- حسناً لا هذا ولا ذاك ، إذن أنت تنتمى لإحدى المنظمات المستقلة أو منظمات الشبيبة الصهيونية ، أليس كذلك ؟!

* جنون ..! كل ما تقوله جنون حقيقى .

- ما هى المعلومات التى طلب منك التنظيم الذى تتبعه الحصول عليها ؟!

* عن أى تنظيم وعن أى معلومات تتكلم ، إننى لا أعرف أى شىء من الأشياء التى تكلمت عنها ، كل ما حدث أننى جئت هنا لأبحث عن شخص ليساعدنى، هذا كل شىء، لو كنت أعرف أى

شـىء لكنـت قلتـه ، صدقنـــى أرجـوك .. كـانت كلمـاتى تختلـط ببكائى..نعم .. لم أعد أحتمل كل هذا الجنون ، لم أعد أحتمله على الإطلاق ، نظر إلى فى هدوء ثم هز رأسه فى أسف قائلاً :

- انتهى وقتك .

لم يكد يتم جملته حتى فجأة سمعت ضجة رهيبة وتناثرت أضواء خافتة على جدران الغرفة ، ومـن وسـط الأضـواء ، ومـن قلـب الضـجـة والصـراخ بـرزت هـى .. نــادين .. كـان رجـلان يرفعانها فى الهواء كالذبيحة ، فـاقدة للوعـى تمامـاً ، وجهها كـان عبارة عن كارثة ، فستانها مُمزق تماماً والجروح تغطـى جسدها كُلـه ، وبجانبها كـان أحدهم يمسك سكيناً ضخمـاً يضعـه علـى عنقهاويبتسم فى تلذذ .

- للأسف ، إنها غبية مثلك ، لذلك ستموت .

تطـايرت دموعـى وأنـا أشـعر بهـم يقيـدون حركتـى مــن الخلف :

* اتركوها أيها الأوغاد ، اتركوها ..!

- لقد أعطيتك الفرصة ، ولكنـك أهدرتهـا ، لذلـك ستراها تمـوت أمام عينيك !

كـانوا يمسـكون بذراعـى فـى قسـوة ، كـانوا كثيـرين فلـم أستطع التحرك ، فقط كنت أقف مُنهاراً أشاهد كل هذا الرعب .

وعندما وجدت السكين يقترب من عُنقها انتفض جسدى، صرخت ولكن لم يسمعنى أحد ، تجاهلنى الجميع .

لمست السكين عنقها ، قطعت أوردتها ، سالت دماؤها كالأنهار ، اهتز جسدها فى حركات عنيفة كالدجاجة المذبوحة والسكين تكمل طريقها فى بُطء مخيف ، ثم .. إنفصل رأسها عن الجسد ، ارتطم رأسها بالأرض ، ثم سقط الجسد أرضاً بلا حراك

كنت أتمنى أن أموت ، أن أنتهى ، أن أتلاشى فى الفراغ لألحق بآخر ذرات روحها ..، ولكن السكين انقض على جسدي..

- إنها نهايتك ، لقد كنت أنتظر لحظة موتك على يدى مُنذ ساعات

نعم إنها نهايتى ، إن السكين يرتفع ليقترب من عُنقى ، إنه حاد للغاية ، إنه يلمع ، إنه يتوهج كالشمس ، الشمس ؟! إنها ... أضواء ساطعة تبرز ، أهى أضواء الفجر تُولد من وسط هذا الظلام ؟! السكين يلمس عُنقى ولكن ..إنها النهاية فلا داعى للمُقاومة ، ولكنها أضواء الشمس فعلاً ، إن الظلام يتلاشى ويفسح المكان للنور الإلهى .

غمرنا ضوء الشمس ...، توقف السكين عن إكمال طريقه ثم سقط أرضاً ، عيون الجميع كانت تتسع فى فزع ، صرخاتهم الرهيبة ملأت المكان وكادت تحطم أذنى ، أنين مروع ينطلق من عشرات الأفواه التى تحيط بى ، نظرت حولى فى رهبة ..فرأيت جلودهم تتساقط وسط صرخاتهم المدوية ، الدماء كانت تتدفق على أجسادهم ، أعضاؤهم الداخلية تبرز وتنتفض فى مشهد مُخيف، العيون تقفز من محاجرها وتسقط لتتبخر فى الهواء ، هياكلهم

العظمية ظهرت وصارت تتراقص كالأفاعى،العذاب الذى يجتاحهم رهيب .. رهيب ، الهياكل كانت تتخبط فى بعضها البعض وهى تبغى الفرار ، ولكن .. بدا أنها النهاية ، نهاية الجميع .

*****

حرارة الشمس ألهبت جسدى ، فتحت عينى ، ثم استندت على يدى ونهضت بصعوبة ترنحت كالثمل بسبب ذاكرة رهيبة وآلام خرافية ، مشيت لخطوات قليلة ، لمحت إحدى السيارات ، أخذت أشير إلى قائدها ثم فقدت إدراكى ومادت الأرض تحت قدمى والألم ينتصر على جسدى مرة أخرى .

فقدت الوعى وأضواء السيارة تحيط بى ، والحياة ما زالت قريبة منى ، لم أمت بعد ، حمدا لله !

*****

(اليوم الأحد ، السابع من أكتوبر الساعة الواحدة ظهراً):

العميد فوزى الفقى كان يجلس فى مكتبه بمديرية أمن القاهرة لقد قرأ أقوال نادر للمرة الألف ولكنه لايستطيع الجزم بأنه فهم ما حدث، كان ينظر إلىالأوراق والمرارة تعتصر قلبه .

إن هذه الأقوال هى الشىء الوحيد الذى يمتلكه الآن ، إنها الدليل الوحيد الذى يوجد لديه ، فقد مات نادر صباح اليوم متأثراً بجراحه ..الخيط الوحيد الهام انتهى ، الطبيب قال إنه تعرض لتعذيب وحشى ، ولكن كيف ؟ ومن الذى فعل هذا ؟!

بالأمس ذهب إلى المكان الذى وجد فيه نادر ، فى ذلك الطريق الصحراوى، وكل الذى وجده مجرد سيارة نادر المُفحمة تماماً والتى تجاور هيكلا ما لإحدى استراحات الطريق الصحراوى والتى ما زالت تحت الإنشاء ، ما علاقة هذا الهيكل بما قاله نادر ، ومن هؤلاء الأشخاص الذين عذبوه ؟! وبينما هو مستغرق فى التفكير تماماً طرق أحدهم الباب ، دخل ضابط ما وبعد أن أدى التحية العسكرية أعطى بعض الأوراق لفوزى قائلاً:

- ها هى كل المعلومات التى طلبتها سيادتك !

التقطها فوزى فى لهفة والضابط يغادر الحجرة ، ثم طالعها وعيناه تلتهمان السطور التهاماً .

وكانت هذه الأوراق تحوى بعض المعلومات التى أدارت عقله ، فهذا الهيكل البنائى قام على أنقاض المُعتقل الرئيسى للثورة، حيث كانوا يستجوبون فيه المعُتقلين السياسيين ومُناهضى الحُكم وقد انتهى هذا المعتقل تماماً وتم تدميره بعد حريق هائل ، نشب فى ظروف غامضة مُنذ ثلاثين عاماً ، حريق ابتلع الجميع من ضباط وعساكر وحتى المُتهمين ! هذا هو كل شىء !

حاول أن يربط أقوال نادر بما وجده من معلومات ... كانت أقواله تفسر له الكثير ولكن ليس تفسيراً منطقياً ، إنها تعطيه تفسيراً مجنوناً يستحيل حدوثه . ألقى بالأوراق على المكتب ..

أخذ يفكر ساعات ، ولم يعد يشغله سوى أسئلة قاسية لا تنتهى هل قتل نادر ابنته ثم حدث شىء ما قلب خططه رأساً على

عقب وانتهى بإصابته ؟! أم هل تم اختطاف ابنتـه بواسـطة بعـض الرجال ثم فجروا السيارة وأصابوا نادرًا فاخترع خياله هذه القصة بعد إصابته فى رأسه ؟! هل أوقف بعضهم السيارة علـى الطريـق وأخذ ابنته إلى هذا الهيكل البنائى وإغتصبها وعذبوا نادرًا ، لذلـك لجأ عقله إلى هذه القصة كحيلة عقلية دفاعية لتنسـيه المأسـاة التـى عاصرها ؟! إنـه يميل إلـى التفسير الأخير ، لأنـه وجد بعـض متعلقات ابنته ملقاة بجوار الهيكل ، ولكن ما الذى فعلوه بابنته ؟!

أما هذا التفسير الذى قاله نـادر فهـو غـير منطقـى بـالمرة ، مـن المستحيل أن يعود معتقل للحيـاة فـى ليلـة سوداء ويُبعـث رجالـه ليمارسوا هوايتهم فى التعذيب والقتل مع شخصين أوقعهما حظهما العاثر فى هذا المكان . لا ..لا هذا جنون ، جنـون أن يفكـر بمثل هذا التفكير الهزلى ، هز رأسه فـى ألـم ، والدمـوع تمـلأ عينيـه ، وصوت ما بداخله يتكلم ، إنه لن ييئس فى البحث عن ابنته ، إنهـا لا زالت تعيش ، إنه يشعر بذلك ، إنها هناك فى مكان ما، سينشـر صورتها فى كل مكان . سيجندِ كل ضباط المبنى للبحث عنها فـى كل المُدن ، سيجدها أو حتى سيجد جُثتها ، حتى لو اسـتغرق هـذا حياته كلها ؛ إنها كِل ما تبقى لديه ، ومن وسط دموعه صرخ:

* نادين ... أقسم أن أجدك !... ولم يجبه سوى الصدى..!

تمت بحمد الله ،،،

الكابوس

لم يسمع رمزى فى حياته صوتاً يمتلئ بمثل هذا الذعر والخوف من قبل، كانت كلمات صديقه حمدى تصل إلى أذنيه عبر أسلاك الهاتف مُرتجفة ، مُتقطعة ، وكأنه فى سباق مُميت مع الزمن :

* رمزى ..! يجب أن تأتى حالاً إلى الفيللا .

- حمدى ؟ ... ماذا بك ؟

* أرجوك يا رمزى ، إننى أحتاجك بشدة .

- ولكن ، ما الذى يحدث عندك ؟!

* حالاً يا رمزى ... فلتأت حالاً بلا تأخير ثانية واحدة .

- ولكن اشرح لى فقط ما ... قاطعه بنفاذ صبره :

* ليس لدى وقت لأضيعه ، إن ما يحدث هنا رهيب ، رهيب للغاية .

- أريد أن أفهم ...! فاجأته صرخة هائلة ، وسمع صوت حمدى يهتف :

* يا إلهى لقد ظهر فجأة أمامى ، إنه يقترب منى ، رمزى ، إنه لا يوصف إنه .... ولم يُكمل عبارته ، فقد انقطع الاتصال وتلاشى صوت حمدى .

- حمدى ..حمدى أجبنى أرجوك ! ولكنه لم يتلق أية إجابة ، فقد سمع أزيزًا طويلا يُعلن إنتهاء المُكالمة وربما أنتهاء شخص آخر ، ولم يجد رمزى حلا آخر سوى الذهاب لتلك الفيللا وارتدى

ملابسه بأقصى سرعة ، ثم التقط مفاتيح سيارته ، وانطلق يعدو خارج منزله فى جنون .

*****

الفيللا المتوسطة الحجم كانت تربض على مبعدة ، هناك وسط الظلام الحالك تربض كتنين أسطورى حطم حواجز الزمن ليأتى ويقتله ، صوت الرياح بدا كالصراخ ، أو كأنين شخص ما يتعذب ، ونعيق البوم كان يغطى أرجاء المكان مُختلطاً بحفيف أوراق الأشجار . المنطقة نفسها مُقبضة .. كئيبة .. ولم يتخيل رمزى لثانية واحدة فى حياته أن أى شخص عاقل ممكن أن يختار الحياة فى هذا المكان السوداوى المُنعزل والذى يبعد عن العُمران بعشرات الأميال . كما أنه كان يتساءل عن هذا المجنون الذى سعى لبناء هذه الفيللا الأنيقة فى هذا المكان ، ولكن لا ريب أنه شخص له نفس عقلية صديقه حمدى الذى اختار بإرادته هذه الفيللا التى تقبع وسط دغل غريب الشكل يبدو كمستنقعات الأمازون ، وربما كان سبب أختيار حمدى لهذه الفيللا هو جنوحه للوحدة ، وانطوائه الغريب الذى بلغ حدَّ شذوذ الأطوار والذى جعله يتحاشى أى مظهر من مظاهر الزحام والاختلاط إلا صداقته مع رمزى ؛ فهى الشئ الوحيد الذى يربطه بالعالم الخارجى . الشئ الوحيد الذى يربطه بالحياة ؛ بدفء الآدميين ، ولقد صارح رمزى صديقه أكثر من مرة أنه يخشى هذا المكان ، يخشاه بصمته بكآبته ، يخشاه بالانقباض والتوتر الذى يسرى فى جسده

بلا رحمه كُلما عبر أسواره ، يخشى كل ذره فيه ، ولكن حمدى سخر منه ، ولم يتزحزح عن قرار شراء الفيللا وسط اعتراضات رمزى التى ذهبت أدراج الرياح أمام عناد حمدى وإصراره على الحياة فيها .

كانت سيارة رمزى تقترب فى سرعة من الفيللا ، وذكريات ما تتدافع فى عقله وتتقافز فى مخيلته وأمام عينيه ، ذكريات حدثت مُنذ فترة قصيرة ، كان هذا مُنذ ستة أيام بالضبط.

*****

كان بداخل هذه الفيلا المشئومة يلعب الشطرنج فى الصالون الضخم مع حمدى ، عندما توقف حمدي عن اللعب فجأةَ وأزاح الرقعة جانباً في بْطء وهو يقول :

* آسف يا رمزي !... ولكن ليس لدى أدنى رغبة فى إرهاق ذهنى اليوم .

كانت ملامح وجهه مغطاة بالقلق ، والتوتر يملأ كل ذرة في جسده ، كان هناك شيء ما بالتأكيد ، ورمزي يعرف صديقه جيداً ، يعرف متى يكون متوتراً ، يعرفه عندما يكون هناك ما يشغل تفكيره ، أنه يعرف ذلك من ملامحه ، من ارتجافة وجنتيه، من عصبية حركة سبابته ، ابتدر رمزى الحديث :

- هناك شيء ما ، أليس كذلك ؟ تنهد حمدى فى بُطء قائلاً :

* نعم .. هناك مشكلة صغيرة ...حاول رمزى أن يخمن :

- أى نوع من المشاكلات ، هل هى مشكلة فى العمل ؟! . هَزَّ حمدى رأسه نافياً هذا التساؤل وهو يجيب :-

* لا ، ليست متاعب فى العمل ، أنت تعلم أنه إذا حدثت متاعب فى العمل فإنها لن تؤرقنى هكذا .

- إذن ما الذى يشغلك لهذا الحَدّ ؟!

* إنها تلك الفيللا .

- وما هى المشاكلات التى تسببها لك تلك الفيللا ؟!

* إنها ليست مشكلة ما ، ولكن إن بها شيئا كنت أريد أن أتحدث فيه معك .

تساءل رمزى : **شيء** مثل ماذا ؟

صمت حمدى لثوان ، كان وجهه يعكس صراعًا ما لا يخفى على صديقه ، كان يريد أن يتكلم ولكن شيئاً ما كان يشجعه على الصمت، ثم لانت ملامح حمدى بغته وبدا أنه توصل لقرار فقال: أعتقد أن هذه الفيللا مسكونة !

- ماذا ؟!

لم يكن ما قاله مُفاجأة قاسية لرمزى بأية صورة من الصور ، لقد كان شبه مُتأكد أن هناك شيئاً غريباً فى هذه الفيللا، إن ذلك الانقباض الذى يدُاهمه كلما أتى إلى هنا لا يأتى من فراغ..كان هناك بالتأكيد سبب ما لخوفه من هذا المكان غير وحدته وانعزاله ، لقد كان هناك شيء ما يحوم فى الهواء ، شيء يمتزج بكل بُقعة فى هذه الفيللا ، شيء مقيت.. ومُخيف .

* كما سمعت ، ، أعتقد أنها مسكونة .

- هل جننت ؟!

* أيعنى هذا أنك لا تصدقنى ؟

- الكارثة أننى أصدقك ، لو لم أعرفك جيداً لقلت إنك مُجرد مجنون غريب الأطوار أثَّرت الوحدة على عقله ، ولكن أنا أعرفك جيداً ، وأعرف متى تكون صادقاً ومتى تكذب ، ولكن المُشكلة أنك جالس هنا فى مُنتهى الهدوء وتخبرنى أن المكان مسكون وكأنك تلقى نكته ، وما الذى تتوقعه منى ؟ أن أقع أرضاً من فرط الضحك أو أسقط فاقداً للوعى من فرط المُفاجأة ؟

كانت كلمات رمزى تنطلق كسيل غاضب ..بينما لم يحاول حمدى أن يتكلَّم كانت نظراته تائهة ، غامضة ، تهرب إلى أى مكان حتى لا تلتقى بعيون رمزى الغاضبة ، والذى أستطرد فى لهجة أهدأ قليلاً:

- ألم أحذرك منذ اللحظة الأولى من غرابة هذه الفيللا ، بل وأحضرت لك عشرات الأماكن غيرها ، أماكن وسط المدينة ، وسط الحياة ، ولكنك أصررت على ذلك المكان اللعين !.

* لقد فعلت ذلك ولكن .... قاطعه وذلك الهدوء فى لهجة حمدى يزيد من ذلك الغضب الذى يتعاظم فى أعماق رمزى :

- هذا ليس وقت النقاش ، الذى يغضبنى هو هدوءك الشديد فى مُعالجة الأمر وكأن حياتك لا تعنيك فى شىء ، ولكن الآن يجب أن تأتى معى وتغادر هذا المكان فى الحال ، هَّيا ، وغدًا سوف

أجد لك مكانًا أفضل منه .. ولكن حمدى لم يتحرك من مكانه..
فنهض رمزى فى عصبية : قلت هيا معى !.. أشاح حمدى
بوجهه بعيداً قائلاً بنفس الهدوء القاتل :

* أرجوك يا رمزى ، اجلس قليلاً ، أرجوك !

بدا لثوان أن رمزى سينفجر مَّرة أخرى صارخاً ، ولكن نظرات
الرجاء فى أعين صديقه جعلته يصبر قليلاً ، فجلس مَّرة أخرى
مُنتظراً كلمات حمدى . قال حمدى بنفس اللهجة الهادئة :

* فى الحقيقة يا رمزى ، إن ترك هذه الفيللا ليس بالبساطة التى
تتخيلها ، المُشكلة أننى أصبحت جُزءًا منها ؛ لقد صرت أنتمى
إليها .

- تنتمى اليها ؟! قالها رمزى فى عدم تصديق . لوَّح حمدى
بذراعيه مُشيراً إلى المكان حولهما قائلاً:

* انظر إلى هذا المكان ، لقد تعبت حتى وجدته ، وبالمواصفات
التى أريدها إنه الحلم الذى كنت أبحث عنه ، إنه الهدوء والوحدة
و... قاطعه رمزى :

- ما هذا السخف ؟ هل هذا هو السبب فى عدم مُغادرتها ، أنك
تعبت حتى وجدتها ؟... إذا كان هذا هو السبب فغداً سأحضر لك
ألف فيللا أجمل منها ، ولكن الآن أرجوك غادرها حالاً ..

* لا ، لن أفعل إنك ما زلت لاتفهم ، إن روحى صارت ترتبط
بهذا المكان شىء ما فيها يجذبنى اليها ، شىء قوى ، غامض ،
يجعل عقلى لا يفكر سوى فى الفيللا وجعل عينى لا تريان سواها

أمـامى ، وتـأكد مـن أننـى لـن أتخلـى عنهـا بسـبب ذلـك العبـث الصبيـانى، مثـل تحطـم بعـض الأشـياء التافهـة ، وتغيـير أمـاكن حاجياتى ، إننى لست خائفاً ولـو للحظـة واحـدة من هـذه الأشـياء السخيفة .

ـ مُنذ متى وهذا الجنون يحدث ؟! ... تسـاءل رمـزى فـى ذهـول أمام هذا المنطق الغريب.

وخفض حمدى عينيه وهو يجيب فى لهجة أقرب إلى الخجل :

* مُنذ البداية ، من أول أسبوع لى فى هذا المكان .

ـ صرخ رمزى . مُنذ البداية ؟ إننى لا أصـدق أننـى هـذا جنون حقيقى ، ولكن لماذا تقول لى كل هـذا إذا كنت لا تريـد مُغادرتها ؟ ، ولماذا تبدوا متوتراً وقلقاً هكذا ؟!

* لقد اردت أن أتحدث فى هذا الأمر مع أى شخص ، ولكن ثق أن كل هذا لا يبعث فى نفسى ولو ذرّة واحدة من الخوف .

ـ نهـض رمـزى مـن مقعـده لقد قلـت لـك رأيـى ، وإذا لـم تكـن تخاف على حياتك ، فإن لدى حياة أحرص وأخاف عليها ، ، لذلك لن آتى هنا إلى هذا المكان اللعين مّرة أخرى ، ولن أراك ثانية إلاً إذا غيَّرت قرارك السخيف بالبقاء فى هـذا المنزل ، وثق أن هـذا العبث الصبيانى كما تطلق عليه سيتحوّل فى وقت ما إلى كارثة ، كارثة حقيقية .

ولكن حمدى لـم يغير رأيـه حتى بعد مـا حدث ، فعندمـا اتجـه رمزى نحو باب الخروج حدث صوت ، فرقعـه ضئيلـة دوت فـى

أمامى ، وتأكد من أننى لن أتخلى عنها بسبب ذلك العبث الصبيانى، مثل تحطم بعض الأشياء التافهة ، وتغيير أماكن حاجياتى ، إننى لست خائفاً ولو للحظة واحدة من هذه الأشياء السخيفة .

- مُنذ متى وهذا الجنون يحدث ؟! ... تساءل رمزى فى ذهول أمام هذا المنطق الغريب.

وخفض حمدى عينيه وهو يجيب فى لهجة أقرب إلى الخجل :

* مُنذ البداية ، من أول أسبوع لى فى هذا المكان .

- صرخ رمزى . مُنذ البداية ؟ إننى لا أصدق أذنسى هذا جنون حقيقى ، ولكن لماذا تقول لى كل هذا إذا كنت لا تريد مُغادرتها ؟ ، ولماذا تبدوا متوتراً وقلقاً هكذا ؟!

* لقد اردت أن أتحدث فى هذا الأمر مع أى شخص ، ولكن ثق أن كل هذا لا يبعث فى نفسى ولو ذرّة واحدة من الخوف .

- نهض رمزى من مقعده لقد قلت لك رأيى ، وإذا لم تكن تخاف على حياتك ، فإن لدى حياة أحرص وأخاف عليها ، ، لذلك لن آتى هنا إلى هذا المكان اللعين مّرة أخرى ، ولن أراك ثانية إلاّ إذا غيَّرت قرارك السخيف بالبقاء فى هذا المنزل ، وثق أن هذا العبث الصبيانى كما تطلق عليه سيتحوّل فى وقت ما إلى كارثة ، كارثة حقيقية .

ولكن حمدى لم يغير رأيه حتى بعد ما حدث ، فعندما اتجه رمزى نحو باب الخروج حدث صوت ، فرقعه دوت فى مكان

ما، وفى أقل من الثانية ، اهتز شىء ضخم فى السقف ، ثم سقطت الثُريا الهائلة المُعلقة فى سقف الغرفة ، سقطت فى دوى هائل كالقنبلة . وقعت على المكان الذى كان يجلس فيه رمزى مُنذ لحظات ، وسحقت المقعد سحقاً ، وقطع الكريستال الضخمة تتناثر فى أرجاء الغرفة كطلقات الرصاص ، ونظر إلى حمدى فى ذهول يغرقه الرعب صارخاً :

- عبث صبيانى ؟ أليس كذلك ؟

ولكن نظرات حمدى كانت تائهة خاوية ، ولم يتكلّم ، لقد كان صمته أبلغ ردّ إنه يريد هذه الفيللا ، ولن يتركها مهما حدث ولم يعرف رمزى ، هل صديقه يعاند ؟! هل أصابه الجنون ؟! أم هو رباط روحى خفى مع قوى غامضة تسكن هذا المنزل وتجذب روح صديقه نحوها كالمغناطيس . قوى رهيبة... امتلكته وتعبث به كالدمية ! وغادر رمزى المكان . إذا لم يكن حادث الثريا كفيلاً بإقناع حمدى ، فلن يقنعه شىء على الإطلاق ، وبالفعل لم يعد رمزى لهذه الفيللا مرّة أخرى ، وكأن سقوط الثريا كان إنذارًا خفيًا له بعدم المجىء ، ولم يسمع أية أخبارٍ عن حمدى حتى جاءته تلك المُكالمة الغريبة .

*****

سيارة رمزى كانت تواصل اقترابها من الفيللا ، والإرهاق كان يسيطر على جسده فى هذا الوقت المُتأخر من

الليل، حتى أنه يتشبث بعجلة القيادة فى صعوبة ولمحات من الكسل تخطو أولى خطواتها نحو عقله ، ولكنه كان يقاوم .

بلغ الفيللا فى هذه اللحظة وأوقف السيارة بجانبها ونفس نعيق البوم كان يصل الى أذنه عبر هواء المكان الخانق وكان مُتعب للغاية ، المسافة طويلة جداً ، وهو يحتاج لبعض الراحة ، وجفناه ثقيلان للغاية يبغى لو أرخاهما ويتوه فى بعض النوم لساعات ولكن ، صديقه يحتاجه وهو لن يخذل صديقه أبداً .

لم يكن قد غادر السيارة بعد ، كان جالساً فيها يحاول إستجماع شجاعته ، يحاول قتل ذلك الخوف الذى بدأ فى الزحف على جسده ، ولكنه لم ينجح فدقات قلبه خانته ، فقد بدأت فى التسارع ، وعرقه البارد بدأ فى إغراقه . كان يعدو على جبهته .. ثم شعر فجأة بقميصه وقد غمره عرق الخوف ؛ لقد كان هناك رعب رهيب يعصف فىهذا المكان ؛ رعب حقيقى يمتزج بكل صخره فى هذا المكان ، وهذا الرعب وجد طريقه الى قلب رمزى ، بلّ واحتل عقله وأبى أن يغادره ، استجمع قواه المُشتتة.. تنهد فى قوة وهو يحاول السيطرة على انفعالاته ثم غادر السيارة.

الفيللا المُكونة من طابقين كانت كل أضوائها مُطفاة ، ما عدا ضوءًا خافتًا كان يبرز على استحياء من الطابق الثانى ، وبالتحديد من غرفة نوم حمدى .

اقترب رمزى من باب الفيللا والظلام يدفع إلى عقله بخيالات سوداء وأوهام مُخيفة ارتعد لها عقله وكيانه ، باب الفيللا كان

مفتوحاً .. مما أثار دهشته وقلقه فى نفس الوقت . دفع الباب فى هدوء ، ثم دخل الفيللا ويده تمتد فى حركه تلقائية لتبحث عن مفاتيح الإضاءة ولكنه لم يجدها . أين هى ؟!

الظلام والخوف كادا أن يضعاه على حافة الجنون ، .
إنها لا توجد فى الجانب الأيمن . أين هذه الأزرار اللعينة ؟

نعيق البوم يهز أعصابه . لقد قارب جسده على السقوط أرضاً من فرط التوتر والرعب ، فليبحث فى الجانب الأيسر عنها، امتدت يده لتتحسس الجدار و...حمداً لله .. ها هى ، وبسرعة ضغطت أصابعه على الأزرار ، وأضيئت كل مصابيح البهو دُفعة واحدة وبدأ الكابوس الحقيقى .

بمجرّد أن أضاء البهو وقبل أن يستعد لأى شىء انطلق نحوه مقعد ضخم كالسهم! المُفاجأة أذهلته وهو يرى ذلك المقعد يرتفع فى الهواء بفعل قوى رهيبة ثم ينقض على جسده ، ولم يستطع إتخاذ قرار ما فى هذا الجزء من الثانية . ارتطم المقعد بوجهه فى قوة . طرحه أرضاً ثم واصل انطلاقه ليصطدم بالجدار ويتحطم لتتناثر شظاياه ، دارت رأسه بفعل ذلك الاصطدام وهو يشعر بدمائه الدافئة تغطى وجهه كالقناع .

هزّ رأسه فى قوة ليحاول القضاء على آلام الاصطدام ولكن، عينيه اتسعتا فى ذهول وهى ترى ما يحدث فى البهو ، فلقد كان ما يحدث أكثر من رهيب فأمام عينيه المذهولتين رأى الحياة وهى تُبعث فى أرجاء المكان ، لقد تراقصت المقاعد ،

اهتزت الجدران ، وسقطت الستائر أرضـاً ، وطـارت المـائدة الضخمـة نحـوه فتفاداها فـى صعوبـة وهـو لا يصـدّق عينيـه أمـا الأجهزة الكهربائية فقد دارت فى الهواء كالإعصـار ، والمصـابيح الكهربائية تنفجر فى دوى مكتوم وفـى تتـابع غريـب . لم يحتمل هذا الرعب ، وصرخ . كان خائفاً . صرخ . وصرخ :

- حمدى ؟! .. حمدى أين أنت ؟! ولكن بلا مُجيب .

مسح براحته الدماء التى تنهمر من جرح رأسه وتغطى جبهته ثم أسرع فى صعوبه بالعدو نحو الطابق الثانى . تفادى أحد المقاعد . قفز من فوق آخر ولكن إحدى الستائر انطلقت نحـوه كالثعبان والتفـت نحـو سـاقه ، فسقط أرضًا ، ورفـع رأسه وهـو يحاول قطع الستائر ولكنه لمح مروحه السقف المعدنيـة تدور فـى سرعه ثم تهوى نحو جسده ، انـتزع نفسه مـن الذهـول ، تدحـرج أرضًا فـى لحظـات ومـن خلفـه سـمع صـوت ارتطـام المروحـة بالأرض .

استطاع أن ينـتزع الستائرعن سـاقيه ثـم أسلمها لـلريح اتجه نحو الدرج . اجتـازه فـى ثـوان وأذنـه تلتقـط صرخـه عاليـة قادمة من إحدى الغرف . كان يعدو فى الممر بأقصـى سرعة وهو لا يستطع منع نفسه من الاصطدام بالجدار من جـراء دوّار بسيط هاجم عقله .

بلَغ حجرة حمدى فى هذه اللحظة كان الضوء ضعيفًا بهـا و ... أذهله ما رأى ؛ فبالداخل كان المشـهد مروّعـا ، كـان كـل

شىء بالحجرة مُحطمٌ تمامًا ، المقاعد ، الصوان ، المناضد ، كل شىء ، كل شىء .

وعلى الفراش كان حمدى مُستلقياً كالميت ، وتأوهات خافته تصدر منه .

التفت حمدى نحو الباب ، ورأى(رمزى) هناك يقترب منه ، نظر إليه نظرة ضعيفة بعيون نصف مُغلقة :

* رمزى !.. حمداً لله ، أخيراً أتيت !

صرخ رمزى . يا إلهى واقترب من الفراش فى سرعة مُردفاً

- ماذا حدث لك ؟ ، وما كل هذه الدماء ؟!

كانت الدماء تتدفق بغزارة من جسد حمدى الذى نظر إلى رمزى بعينين خاويتين ، كعيون الموتى :

* لقد كنت مُحقاً يا رمزى ، إنها نهايتى ، لأننى لم أستمع لنصيحتك .

وقف رمزى بجانب الفراش وهو ينظر فى ارتياع إلى كل هذه الدماء ، قال حمدى والتأوهات تخنق كلماته :

* لقد هاجمنى. كان الصراع قاتلاً ! الدماء كانت تتدفق بلا انقطاع . لم تتوقف ولو لثانية واحدة . كانت دماء غزيرة جدًا كالشلال ، كانت تملأ الفراش ، وتنساب فى لزوجة لتغرق أرض الحجرة .

نظر رمزى إلى كل هذا فى ذعر .. وهو يتساءل ، ما كل هذه الدماء ؟ استحالة أن توجد بجسده هذه الكمية الرهيبة من

الدماء ! هذا ليس طبيعياً .. يا إلهى.. قفز تفسير ما إلى عقله ، تفسير غريب ، ولكنه يفسر كل شىء ، حانت منه التفاته الى عيون حمدى التى صارت بيضاء كالثلج واختفى سوادها تمامًا ، شهق فى فزع والكلمات لا تجد طريقها نحو شفتيه ، حاول رمزى أن يبتعد فى سرعه ، ارتد إلى الوراء كالمصعوق ، ولكن يدً حمدى كانت أسرع منعته من الهرب وقبضت على ساعده كالكلاًبات المعدنية ، تساءل رمزى فى صوت مخنوق ، مُفعم بالدهشة :

- يا إلهى ، من أنت ؟

يدً حمدى كانت باردة ، ووجهه شاحب مُخيف ، وعروق زرقاء غريبة تنتشر فى وجهه وجسده ، وخرج صوته عميقاً:

* لقد فهمت مُتأخرًا جدًا، ككل الحمقى ، !

حاول رمزى الهرب ، ولكنه فشل ، حاول أن يتراجع ولكن قواه خانته ، وفى ثوان ، اخترقت أظافر حادة كحدً الموس رقبته ، تناثرت دماؤه أطبق ذلك الشئ على جسده بذراعين فولاذيتين ، ثم طوًحه فى الهواء ليرتطم بالصوان الخشبى المكسور ، حتى كادت عظامه أن تتحطًم ، ثم لمح شيئاً ما يقترب هو كيان بشع يتقدم نحوه فى سخرية واثقة وقبل أن تنتهى الرؤية أمام عينيه وينتشر ظلام الموت ، لمح جسدًا شاحبًا ذا عروق زرقاء بارزة يقترب منه ، ثم لم يرَ شيئاً أخر ، لم يرَ سوى الظلام ، ولم يسمع سوى الصمت .

رمـزى .. رمـزى ، اســتيقظ .. رمـزى .. إننــى أحتــاج إليـك
الكلمات كانت تصل إلى أذنيه من مكان بعيد .. بعيد، كانت صعبة
الفهم . فقط كان يتردد صداها بلا نهاية ، ولكن بعد ثوان ، كـانت
تقترب وكانت تعلو نبرتها حتـى امتلكت حوَاسه كلهـا وأيقظتـه .
فتح رمزى عينيه . هزّرأسه فى قـوة ليقتـل أخـر لمسـات الخمـول
وهو يحاول استعادة حيويته المفقودة ، بدا حـائرًا للحظـات وأول
نظراته تقع على وجه حمدى . كاد أن يصـرخ فـى فـزع ، ولكـن
عقله سرعان ما أسعفه وأعاد إليه ذاكرة افتقدها للحظات فقال فـى
هدوء:

- آه ، إنه أنت يا حمدى !

* بالتأكيد ، لقد انتظرتك لمدة طويلة فلم تحضر ، ولكننى سمعت
صوت سيارة قدمت مُنذ فترة ، وعندمـا قـررت التجـول قليـلاً
فـــى الحديقة وجدتك نائمًا على عجلة القيادة ما الذى حدث لك ؟!

كان حمدى يبدو غريبًا ؛ فقد طـالت لحيته ، وصـار نحيـلاً
إلى درجة كبيرة ، وملابسه رثة للغاية . كـان أشـبه بـالدراويش ،
ولكن كل هذا لم يشغل تفكير رمزى سوى ثوان قليلة وهو يتعجـب
من سقوطه فريسة سهلة للنوم هكذا فى هذا الوقت الحرج .. قـال
لحمدى فى لهجة أقرب للاعتذار :

- صدقنى ، لاأعرف كيف غفوت ؟ ربما بسبب إرهاقى طــوال
اليوم ، ربما .. ولكن هذا ليس طبيعياً أن يحدث لى ، ثم إنــه كان

هناك ذلك الكابوس و .. قاطعه حمدى وهو يفتح باب العربة:

* رمزى ، يجب أن تأتى معى إلى داخل الفيللا ، يجب أن أريك ذلك الشيء هناك إنه مُخيف . مُخيف إلى درجة رهيبة !

- ما هو هذا الشيء ؟!

أخذه من يده وهو يسرع نحو الفيللا ستراه الآن .

قال رمزى فى صوت هادئ ، وكأنه يكلم نفسه :

- ولكن ، هذا الكابوس كان غريبًا ، ولقد كان هناك ذلك الشيء المفزع الذى يشهد ... قاطعه حمدى مُجددًا قائلا:

* فيما بعد يا رمزى . فيما بعد ، ولكن الآن يجب أن نواجه الكابوس الحقيقى . الفيللا كانت مُضاءة وكان الباب مفتوحًا دخل حمدى أولاً مُسرعًا ، بينما تردد رمزى لثوان ، وومضات سريعة من رؤيا سوداء تهاجم عقله بشراسة ، إنه يتذكر ذلك الظلام ، ثم بحثه عن مفاتيح الإضاءة . والخوف والحياة التى شملت المقاعد والستائر وكل شيء فى البهو ، وجعلت الأجهزة الجامدة تتحول إلى حيوانات أصابها الجنون و

* لماذا تقف هكذا ، ؟! هل أنت خائف ؟

انتزعه تساؤل حمدى من الأفكار التى تعربد فى ثنايا عقله.

- لا .. لاشيء ، ولكننى تذكرت شيء ما !

قالها وهو يتقدم ليدخل البهو وعيناه تتفحصان كل شيء وكأنه ينتظر هجومًا خفيًا ، بينما تقدم حمدى نحو إحدى الغرف الجانبية قائلاً :

* إنه هناك . فى هذه الغرفة !

هزّ رمزى رأسه فى حيرة :

- ولكننى لا أفهم ، هل حبسته مثلاً هنا أم ماذا؟!

* ستفهم كل شيء حالاً . ولكن أسرع أرجوك .

قالها حمدى فى انفعال وهو يتجه نحو باب الفيللا ويغلقه، فتح رمزى باب الغرفة فى بُطء قاتل ، بُطء يملؤه التردد، وكأنه يتمنى ألا يفتحها على الإطلاق . دفع الباب الخشبى وهو يدخلها فى خطوات خائفة مرتعدة ويده تمتد لتنير المكان أضاء المكان فى سرعة وهو يدير رأسه فى سرعه ليرى الغرفة ومحتوياتها ، ولكن الغرفة خالية .. !

كاد أن يستدير نحو حمدى ويخبره أنه لا يوجد شيء .إلا أن عينيه لمحتا شيئًا ما ، شيئًا غريبًا مُعلقًا فى السقف ويحتلّ ركنًا مُظلمًا فى الغرفة ، ركنًا لا تصل إليه الأضواء .. اقترب رمزى. يحاول معرفة كنةِ هذا الشيء . اقترب أكثر . وأكثر ، والملامح تتضح إلى حد ما ولكن . ما هذا ؟! وتراجع رمزى فى ذعر حقيقى. انكتمت الصرخة فى حلقه . حاول أن يعدو . أن يهرب ، ولكن ساقيه تجمدتا من فرط الرعب فهذا الشيء لم يكن سوى جُثة مُعلقة من عنقها فى أنشوطة ضخمة كانت تهتز فى بُطء ،

كبندول الساعة والدماء تغطيها ، ولكنه لم ير وجه هذه الجثـة لأن ظهرها كان يواجهه ، اقترب وهو يصارع الخوف ، اقترب وهو يحاول السيطرة على اهتزاز ساقيه وأدار الجثة .

كانت بيضاء .. شاحبة و .. دارت به الأرض . صرخ فى فزع ، فقد كانت جثة حمدى .!

أراد أن يستدير ، أن يعدو ولكن الكيان الرهيب كان خلفه يقترب فى بُطء الواثق . مُفعما بلذه الانتصار . التفت رمزى نحوه، وصرخاته ترتطم بالجدران وترتد إليه ، كان جسدًا أبيض كالثلج ، ووجهه مشوّه ، وعروق زرقاء رهيبة تنتشر فى وجهه وجسده ، لقد كان تجسيدًا لقوى الشرّ التى تربض فى الفيللا تاه فى السواد القاتل ، خنقه صمت مروّع ، وكل شىء فى الحجرة يطير فى الهواء ويلتف كالإعصار ، وخرج الصوت العميق :

* لقد فهمت مُتأخرًا جدًا ، ككل الحمقى ، !

أدرك فى لحظات أشبه بالغيبوبة أن ما رآه من قبل لم يكن كابوساً بل كان نبوءة ، ولكنه لم يفهم . نبوءة رهيبة .

ثم غمره ظلام الموت الأبدى وساد الصمت المكان .

تمت بحمد الله ،،،

قلعة الجبل الأسود

لماذا أسموها بهذا الاسم ؟!

أرجوك . لا تحاول حتى النطق بهذا السؤال ؛ لأننى مثلك تمامًا لاأعرف فلا هى قلعة ولا هو جبل أسود ، ولكن أنت تعرف هؤلاء القدماء وعقلياتهم الغريبة، فأى مبنى يتكوَّن من طابقين أو أكثر ، كانوا يسمونه قصراً وأى مبنى يتكوَّن من طابقين وله أسوار ضخمة ويقع على قمة تل كانوا يسمونه قلعة . كما أنه ليس هناك أى جبل ، كل ما يوجد هناك هو مُجرَّد تلّ عادى متوسط الحجم لا علاقة له بالسواد من قريب أو من بعيد .

كل هذا كان يجعلنى مُقتنعًا تمام الاقتناع أن سكان هذه المنطقة الريفية كانوا مفتونين بالأسماء الثقيلة المُبهرة ، والتى تُضفى مناخاً من الرهبة والغموض فى نفوس كل من يذكرون هذه الأسماء بدون رؤيتها . أما الذين يرون الأماكن التى تحمل هذه الأسماء فبالتأكيد سيسقطون أرضاً من فرط الضحك بسبب حجم التناقض الهائل بين المكان واسمه .

وبالطبع هناك الكثير مِن الشائعات الغريبة التى يتداولها الناس عن هذه القلعة ، فأى قلعة عتيقة الطراز يجب أن يتكلَّم الناس عن الروح الشريرة التى تجوب طرقاتها ليلاً تحمل ساطوراً ضخماً ، أو يتكلَّمون عن مصَّاص الدماء الوسيم الذى ابتلع بمفرده كمية من الدماء أكبر من مخزون بنك الدم القومى !

وإذا دخل أى شخص هذه القلعة فى يوم من الأيام وخرج منها مُصاباً بصداع سيقسم إن الروح الشريرة أصابته ، أو إنها دخلت جسده وتأبى الخروج منه ...!

وهكذا ، إشاعة صغيرة تتحول إلى خرافة والخرافة تجتذب خرافات أكبر وهكذا . دائرة لا تنتهى من الجهل والتخلُّف، والذى صنعها فى الأساس هو كابوس صغير رآه عقل قروى ساذج بعد عشاء دسم ! .

لا أعلم فى الحقيقة لماذا كنت أفكر فى كل هذا الهراء وأنا أسير فى الطريق الصاعد المؤدى إلى القلعة ، ولكن يبدو أننى كنت أُسلِّى نفسى قليلاً للقضاء على ملل الطريق . الطريق غير مُمهَّد ، بل يمتلئ بالأجزاء الصخرية البارزة ويمتلئ أيضاً بالعديد من الانحناءات والالتواءات الأفعوانية التى تذكرنى بعربات الملاهى .

ألقيت نظرة سريعة على حذائى الأسود الجديد فوجدت التراب قد قام بُمهمته الأبدية وجعل حذائى يحمل لونًا غريبًا لا يمت للون الأسود بصلة ، ولو رأته الشركة المُنتجة لسجلت هذا اللون باسمى كاكتشاف جديد فى عالم الأحذية ، وقد أتحفنى حظى الرائع ببقعة زلقة لم ألمحها ، تراجعتَ بضعة أمتار للوراء ووقعت أرضاً ليتمزق قميصى على أحد النتوءات البارزة ...، حسناً إلىالجحيم ، إننى لم أحب هذا القميص فى يوم من الأيام ، ولكن المشكلة تكمن فى الألم الذى أصاب ظهرى من جراء

السقوط ، كانت تتبقى بضعة خطوات فقط و... آه.. أخيراً لقد بلغت قمة التلّ ألا يعتبر ذلك إنجازاً ؟! الآن فقط قدَّرت تعب أول رجل تسلّق إفرست ! توقفت على القمة قليلاً لألتقط أنفاسى ثم اتجهت نحو ذلك المبنى المُسمَّى بالقلعة طرقت الباب الخشبى العتيق دقات بطيئة هادئة، وكأننى أخشى أن تثقب أصابعى تلك الكتلة من الأخشاب المُتهالكة أو أن يتهاوى الباب أرضاً من فرط قدمه !.. كنت أطرق الباب وعيناى تطوفان بملامح القلعة الخارجية ؛ إنها تتكون من طابقين كبيرين مُزدانين بزخارف ونقوش تاريخية مُتداخلة وتتناثر فى واجهة القلعة نوافذ عملاقة ولكنها مُغلقة بألواح خشبية ، ويحيط القلعة سور ضخم و... يكفى هذا الوصف الآن ، لأن ضوء الشمس لا يعطينى الفرصة فى الدخول لتفاصيل أدق ، كما أن أحدهم فتح باب القلعة أو ربما كان مفتوحاً من البداية ولم ألحظ هذا ، أو ربما دفعته يدٌ خفية تُحب أن تساعد الآخرين .

يدٌ خفية ؟! من الذى يدفع بهذه التساؤلات المُثيرة للشفقة الى عقلى ؟! هل بدأت الهلوسة بسبب تلك الشمس التى تكاد أن تذيب رأسى من فرط حرارتها ؟..

دخلت القلعة .. وجدت نفسى فى قاعة ضخمة يتوسطها درج طويل يؤدى إلى الطابق الثانى ، وعلى المقاعد الأثرية بالداخل كانا يجلسان بانتظارى .. رجل وامرأة فى أرزل العُمر التجاعيد تغطى ملامحهما وكأن بينها وبين وجوههما ثأر قديم..

لذلك لم أستطيع تخمين أعمارهم ، إنهما عجوزان فقط وهذا يكفى، لقد استطعت معرفة أنهما رجل وإمرأة بمعجزة فلا تتوقع منى أن أعرف عمريهما .وعلى رأسيهما لا مجال لشعرة واحدة سوداء فقط شعر أبيض فضى ، شعر طويل فى رأسيهما على السواء ، وكأن الرجل لم يسمع عن اختراع حديث يُسمىً بالحلّاق.

دعانى الرجل إلى الجلوس بإشارة من يده وهو يحدق فى وجهى بتركيز عميق ، لا يهم لقد إعتدت هذا التحديق الطويل وجهى ، إن عينى الزرقاوين تصنعان المُعجزات ، أما المكان بالداخل فقد صار مُظلما عندما تمَّ إغلاق الباب ، ولولا وجود بضع شموع مُتناثرة فى الأرجاء لما رأيت شيئاً البتة. الساعة الآن الثانية ظهرًا والمكان بالداخل يبدو كأننا فى الثانية صباحًا، من المؤكد أنهم لا يحبون ضوء الشمس على الإطلاق وإلاَّ كانوا قد فتحوا تلك النوافذ المُغلقة كانت الصورة شبه مُكتملة ، قلعة غامضة ، تلٌ متوسط الحجم ، ظلام رجل وامرأة يبدوان كجثث خرجت لتوها من القبور ، وضحية ساذجة لا تُصدِّق ما يقال عن القلعة من شائعات ، وهذه الضحية هى أنا بالتأكيد !! فى الواقع هذه العناصر السابقة هى المشهد المُفضل لمخرجى أفلام الرعب، ولن أرتجف إذا نهض الرجل فى سرعة مُباغتة ، ثم طار فى الهواء بحركة مُثيرة لينقض على جسدى ويعضنى من عُنقى ثم يخبرنى أنه مصّاص دماء مُحنك !.. أو تختفى المرأة من مكانها وأجدها فجأة خلفى وهى تحمل سيفاً هائلا لتخبرنى أن زوجها

قتلها بسبب خيانتها وأنها تنتقم من جميع الرجال عن طريق قطع رءوسهم !.. كتمت ضحكة ساخرة فى أعماقى بسبب الظنون المُثيرة للسخرية والتى يبعثها عقلى المريض ، ولكن الموقف كان يحتم علىَّ أن أكون جاداً ، لذلك رفعت حاجبى الأيسر ثم قلبت شفتى السفلى فى ازدراء يليق بمهنتى كموظف حكومى ، ثم إبتدرت هذين العجوزين :

* لقد أرسلت خطابًا من العاصمة بشأن حضورى هنا .

- من أنت ؟ ، وما الذى تريده ؟!

قالها العجوز بلهجة مُتسائلة تحمل قدرًا لا بأس به من مُحاولة إحراجى، كم أكره تلك اللهجة الجافة التى تحمل فى طياتها رسالة خفية تصرخ فى وجهى أن أختفى من أمام وجوههم أو أذهب إلى الجحيم !! تنحنحت وأنا أحاول السيطرة على الدماء الحارة التى كانت تتصاعد إلى وجنتى والتى تخبرنى دائما أننى أتهاوى خجلاً أمام الغرباء ، إزدردت لعابى وكأننى أبتلع خجلى:

* معذرة .. ولكن هل قرأتم خطابى الذى أرسلته مُنذ أسبوع ؟!

- لا.. لم نقرأه !

قالتها المرأة بنفس اللهجة الجافة ، وكأنه لم تكن تكفينى مُحاولة إحراج العجوز لى ، فساعدته المرأة لتكون محاولة مزدوجةِ ضد شخصى الضعيف .

* إذن فكيف تنتظرانى ؟!

قال الرجل : ومن الذى أوحى لـك بهـذه الفكـرة ؟. . نحـن لم نكن فىانتظارك ؛ لقد دخلت أنت فتركناك لتجلس لتلتقط أنفاسك ثم تخبرنا بعد ذلك ما الذى تريده . هذا كل شىء !.

صدمنى هذا المنطق الغريب ، فأى شخص يدخـل القلعـة يدعوانـه للجلـوس هكـذا وبكـل هـذه البسـاطة . هــذان العجـوزان غريبا الأطوار يبدو أنهما كريمان جدًا مع الضيوف .

قالت المرأة مُتسائلة :

- وما الذى كان يحويه هذا الخطاب الذى أرسلته ؟!

* فى الواقع يا سيدتى لقد كان الخطاب يخبركم أن منـدوبا مـن وزارة الثقافة سيأتــى إلــى هـذه القلعـــة للتأكـد مـن بعــض المعلومات التى تؤيد إدراج هذه القلعة ضمن قائمـــة الأماكـن الأثرية فى المدينة .

قالت المرأة :

- وهذا التأكد من بعـض المعلومــات ، يتطلـب بالتأكيـد فحــص القلعة ومحتوياتها ؟

أومأت برأسى : نعم يا سيدتى .. هذا صحيح !

قال الرجل وهو يشير بسبابته المُتآكلة نحوى :

- وهذا المندوب هو أنت ؟!

* نعم بالطبع .. قلتها وأنا أحـاول السيطـرة على أعصابى ، لقد قلت لهم فى الإدارة أن يرسـلوا " محمـود " بـدلاً منـى ، قلـت لهـم إننى لا أحب هذه المنطقة اللعينة و.....

ـ ألم يجدوا رجلاً أصغر منك ؟!

نظرت إلى المرأة فى كراهية وأنا أحاول نسيان لهجتها الهازئة ، هل تسخر من عُمرى ، أم من حجمى ؟! اللعنة على النساء . فرض الصمت نفسه علينا ، وجوًا من عدم الإعجاب يملأ النفوس ... فقال الرجل :

ـ وإذا تم إدراج القلعة فى قائمة الأماكن الأثرية فهل هذا يعنى أن تأخذها الحكومة ؟

ابتسمت وأنا أحيى غباءه فى أعماقى :

* لا ... بالتأكيد لا يا سيدى ، كل ما هنالك أن إدراج أى مكان ضمن الأماكن الأثرية له أهمية بالغة عند حصر هذه الأماكن ، ووضع قوائم خاصة بها عند عمل الإحصاءات الرسمية ، كما أنه يجعل الحكومة مسئولة عن القيام بأية ترميمات أو إصلاحات فى أى جزء من أجزاء القلعة إذا حدث لها أى مكروه ، ولكن القلعة ستبقى فى ملكيتك بالتأكيد.

ضحكت المرأة وهى تنظر نحو الرجل نظرة خاصة :

ـ أعتقد أن هناك سوء فهم واضحا هنا ، فنحن لا نملك هذه القلعة كل ما هُنالك أننا مُجرد ضيفين عليها .

* لا تملكون هذه القلعة ؟! .. قلتها فى دهشة حقيقية .

ـ بالتأكيد ؛ إن آخر شخص امتلك هذه القلعة توفى من سنين طويلة .. قالها الرجل فى هدوء .

لا يمتلكان هذه القلعة ويعاملاننى هـذه المُعاملـة القاسـية ، إننى اتساءل عن الذى كانا سيفعلانه بـى إذا كانـا يمتلكانهـا حقـاً ، ربما كانا قتلانى لأننى تجرأت ودخلتها ، تساءلت :

* إذن من هو المسئول عن هذه القلعة ؟!

قالت المرأة :

- بصفة غير رسمية نحن نُعتبر المسئولين عنها وعن الاعتنـــاء بها .

* حسنًا ، هذا لا يصنع فارقًا كبيرًا بالنسبــة لـى .. قلتهـا وأنـــا أتطلّع إلى هذا الظلام مُحاولاً البحث عن وسيلة ماتوفر لى فحصـاً دقيقاً للقلعة وسط هذا الظلام .. ثم أردفت : ولكــن لمــاذا هــذا الظلام ..؟! لماذا تغلقان النوافذ بهذا الشكل ؟!

أجاب الرجل بعد تنهيدة طويلة أطلقها :

- نحن لم نغلق النوافذ !

* ولكن من الذى أغلقها ؟! ، ولماذا لا تفتحانها ؟!

- آه إن لهذه قصة غريبة .

قصة ! بالتأكيد لها علاقة بالشائعات التى يتداولهـا النـاس حول القلعة ، وأنا أحب هذه القصص المسلية ، إننــى لـم أتخلـص بعد من الجُزء الطفولى بداخلى .

- هل تريد أن تسمع هذه القصة ؟!

* هل تمزح ؟! بالتأكيد أريد سماعها !

قال الرجل :

حسناً ، سأقولها لك ، إن القصة عبارة عن حادث ما مرّ بآخر من امتلك هذه القلعة ، لقد كان يقطنها بمفرده مع بعض الخدم ، ولقد كان ثرياً إلى أقصى درجة ، ويسئ مُعاملة خادمى القلعة ؛ فهربوا من القلعة وتركوه وحيداً وبسبب سوء سلوكه ونرجسيته الشديدة نَفَر منه الجميع، وكرهوه كراهية شديدة ، وكان من الطبيعى أن تنتهى وحدته الطويلة فى هذه القلعة إلى إصابته بلوثة عقلية وباضطرابات فى شخصيته جعلته يصاب بخوف رهيب من الموت ، فأحضر أحد الدجالين الذى أوهمه أنه يستطيع الفرار من الموت عن طريق التحصن داخل القلعة والاختباء بها ، وبالفعل صدَّق المأفون هذا الهراء واستأجر عُمالاً أغلقوا له النوافذ بألواح خشبية وحوائط أسمنتية مما يجعل فتحها يحتاج جُهداً كثيراً، كما أنه دعم الباب الخشبى بفواصل معدنية ، ثم أحضر المئات من المؤن الغذائية . لقد كان هذا فى زمن مضى يغلب عليه طابع لا يسهل إزالته من الجهل .

* وما الذى حدث بعد ذلك ؟!.. قلتها فى لهفة مُستحثاً إياه على استكمال القصة .

- لقد اعتزل هذا الرجل الناس ونسى الجميع كل شىء عنه، حتى مرّت عدة سنوات ، وطمع حاكم المدينة فى القلعة وموقعها فأمر بفتحها ، وبعد جُهد تم اقتحام القلعة وبالداخل كان الهواء فاسداً ورائحة كريهة خانقة تملأ المكان . وبحثوا فى

القلعـــة عـن الرجـل وعندمـا صعـدوا إلـى غرفتـه فـى الطـابق الثانى وجدوا الرجل مُمدًا على فراشه ، جثة هامدة .

* نهاية مأساوية .. قلتها وأنا أنقل بصرى إلى المرأة التى قالت بدورها :

- ولكنها ليست النهاية !

* هل حدث شيء آخر ؟! أجابت فى لهجة تحمل رنّة من الأسى

- نعم ، لقد مات كل من دخل هذه الغرفة فى نفس اللحظة التى وجدوا فيها الجثة !!

* ماتوا ؟! ، كيف ؟! قلتها فى عدم تصديق ولمحة من الأكاذيب تبدأ فى فرض ذاتها على ما أسمعه .

أجاب الرجل :

تقول القصة إن أول رجال دخلوا الغرفة ماتوا بطريقة ما لم يذكرها أحد ، ومن هذه اللحظة انتشرت القصص عـن أن لعِنـة حلّت على روح الرجل وجعلتها حبيسة جدران الغرفة ولا تستطيع الفرار منها نهائياً ، وتضيف القصة أن روح الرجل تعهـدت بقتـل أى شخص يدخل هذه الغرفة كنوع من الانتقام .

ماتوا بطريقة غامضة ، وروح تتعهد أى شـخص يدخـل الغرفـة بالقتل؟! يا له من شيء طريف !

* إذن أنتما تريدان إقناعى أن هذا الشبح موجود بالقلعة الآن ؟

- بالتأكيد .

* وأنه لم يغادر غرفته أبداً ، بل ويقتل أى بشرى يدخلها ؟

عقد الرجل ذراعيه أمام صدره وهو يلمح السخرية تغرق كلماتى مُجيباً : نعم .. هذا صحيح !.. وأعتقد طبعاً أنك لم تصدق كل هذا ؟

* بالضبط .. استنتاج صحيح ، أنا لا أصدق كلمة واحدة مما قلتماه !

هتفت المرأة وملامحها بدت غاضبة :

- ولكننا رأيناه ، لقد وقفنا خارج الغرفة ووجدناه يرقد على الفراش !

كدت أصرخ فى وجهيهما وأقول لهما الحقيقة المؤلمة أنهما حفنة من العجائز ضعيفى الحواس والذين يروننى بالكاد ناهيك عن رؤية شبح :

* فى اعتقادى الشخصى أن كل ما يتداوله الناسِ عن الأشباح والأرواح مُجرَّد أكاذيب مُلفقة صنعتها عقول ضيقة .. جاهلة.. قلتها وأنا أتجه لأحمل إحدى الشموع وأنا ألعن غبائى لعدم إحضارى كشافًا ضوئيًا لفحصِ هذه القلعة .. هتف الرجل :

- هل تعنى أننى أكذب ؟

ابتسمت وأنا أقترب منه مُمسكاً الشمعة بيدى .

* لا ... ولكنكم مثل أى ...

صاحت المرأة وهى تنهض فى عصبية :

- انظر أيها الشاب ، لقد حذرناك ، أمامك القلعة .. هاهى ، إذا كنت تريد فحصها فأفعل ، وإذا كنت تريد دخول الغرفة

التى حدثناك عنها فادخلها ، ولكن لا تحاول أبداً السخرية منا أو اتهامنا بالكذب .

* سأدخلها . إننى لست بجبان مثل البعض ، ولمعلوماتكم ، سيكون أول شىء أفعله هو دخول هذه الغرفة ، وفى المساء سأحضر كشافات ضوئية لأفحص بقية المكان .

- ما الذى تريده بالضبط ؟! ، ما الذى تريد إثباته ؟! ، تساءل الرجل فى دهشة ، فأجبت :

* أريد إثبات أننى لست جبانًا ، وأننى لا أصدق خرافاتكما ، وأريد إثبات زيف كل ما تقولانه ، زيف كل هذا الخوف الذى لا يوجد مبرر منطقى له .

أومأ برأسه فى هدوء قائلاً :

- حسناً : ادخل الغرفة أيها الأحمق ، ولكن لاحظ أن أول خطواتك فى هذه الغرفة ستكون أول وآخر خطوات تخطوها فى حياتك كلها ، والآن إذا كنت شجاعاً لهذا الحدّ فاذهب ، اذهب لتقابل عزرائيل !! .

إلهى ، كم أحب هذا الرجل واختياره لكلماته !

* حسناً سأثبت لكما خطأ خوفكما هذا وأنكما تخافان من لا شىء ، ولكن لو سمحتما أين هذه الغرفة بالضبط ؟!

*****

الآن أقف خارج الغرفة المقصودة مُمسكاً بشمعة ضخمة ويدى الأخرى تتحسس فى جيبى قدّاحة أحملها تحسبًا لأية مواقف طارئة .

لم يكن ضمن خططى أن أفحص أى شىء فى القلعة وسط هذا الظلام ، كنت سأغادر المكان لأعود فى وقت آخر ومعى كشافات ضوئية لأضمن فحصًا دقيقًا للقلعة، ولكننى عندما سمعت تلك القصة الساذجة عن الغرفة استثنيتها من قرارى هذا ، ربما بسبب العناد الأعمى ..، أو ربما لأثبت لهذين الأحمقين أن كل ما يقال عن هذه الغرفة هو مُجرَّد خرافات وأساطير كاذبة بلا أدنى أساس من الصحة ، أو ربما لأؤكد شجاعتى ، وأظهر بشكل بطولى أمام نفسى ، أو ربما لأجد قصة ظريفة أحكيها لأصدقائى عند عودتى وأجعلهم ينبهرون بشجاعتى . نظرت فى شك إلى الشقوق الضخمة التى تنتشر فى أرجاء هذا الممر .. وإلى الأرضية الخشبية المُتآكلة ، وتمنيت فى قرارة نفسى أن تصمد القلعة حتى أنتهى من فحصى لها ، إننى أعتقد أنها على وشك الانهيار ، إنها مُتهالكة للغاية وعلى حافة السقوط ، ولكن هذه المبانى القديمة معظمها يخدع الخبراء ... فقد يجدون الأساسات مثنية ومقوَّسة وأرضها غائرة مُتداعية ويتنبئون بما لا يدع مجالاً للشك أنها ستسقط بعد دقائق ولكنها تظلّ صامدة ألف سنة .

ولكن الآن ، هيا لندخل الغرفة ولننس القلعة قليلاً..
فتحت الباب ، ولحسن الحظ لم يتصاعد صوت الصرير الممل

الذى تسمعه عند لمس أى باب قديم اللعنة ! كنت دائما أحب هذا الصوت . دخلت بخطوات بطيئة هادئة وقشعريرة من الإثارة تجول فى جسدى . رفعت الشمعة لأعلى درجة ، وأتاح لى ضوئها الضعيف رؤية بعض ملامح الغرفة : فراش عملاق من الطراز المعدنى القديم الذى يزن أكثر من طن ، وصوان صغير فى ركن الحجرة ومنضدة دائرية تتوسط المكان ، إنها مُجرَّد غرفة عادية ، بلْ وأقلّ منَ العادية ! .. كيف كانت تلك الغرفة من ممتلكات شخص ثرى ثراء فاحشا ؟! إنها بالكاد تصلح أن تكون مأوى لشحات !!

حسناً ، هأنذا فى الغرفة أنتظر ظهور الشبح المزعوم ولكن لا شىء يحدث لماذا لم أمت بعد ؟! اللعنة إنك لا تجد أشباحا مُحترمين يحافظون على قراراتهم ! إننى أرتجف من الرعب !! ضحكت ضحكات عالية وأنا أقترب من الصوان الصغير حاولت فتحه ولكن كان مُغلقاً بإحكام ، ربما حبس أحدهم الشبح بالداخل فلم يستطع الخروج ليخيفنى ! ضحكت مجدداً حتى قفزت الدموع من عينى . أكثر شىء أكرهه فى وسائل الإضاءة البدائية المُسماة بالشموع هو تلك الظلال الطويلة المُتراقصة الهُلامية الملامح والتى يصنعها لهب الشموع على الجدران .. إنها تصيبنى بالاختناق . بالإضطراب ، ولكن مهلاً ، أن يتحرّك لهب الشمعة تلك الحركة السريعة فهذا معناه وجود تيار هواء فى

المكان ، ولكن النافذة مُغلقة بإحكام .. إذن .. أين هو مصدر هذا التيار ؟!

نظرت إلى النافذة مرّة أخرى عندما فجأة أحسست بحركة ما خلفى . أدرت رأسى سريعاً . تيار الهواء البارد لمس عُنقى . كان يتزايد و.. ولكن الباب أيضاً مُغلق ولا يوجد شىء خلفى ، لا يوجد سوى ظلّى يتراقص على الحائط كالأفعى ...، ولكن لهب الشمعة لم يعد يتحرّك بينما الظل يتراقص . ما الذى يحدث هنا ؟!

تساءلت فى توتر ، شعرت باهتزازالأرض تحت قدمى.. الأتربة كانت تتساقط من السقف ، سمعت أصوات خشب يتحطم..و... يا إلهى ، هل المكان ينهار ؟! ازداد اهتزاز الجدران، تساقط الأحجار الصغيرة ، الظل يتراقص على الحائط الفراش العملاق يتقافز فوق الأرض ، المنضدة تتحرّك ثم تنزلق نحو ركن الغرفة ، تجمد جسدى لثانية من فرط المفاجأة ، ثم اتجهت فى سرعة نحو باب الخروج ، كنت أعدو فى هستيريا أحاول الهرب بحياتى ، المكان ينهار بالفعل . أثناء العدو اصطدمت بساق الفراش ، طار جسدى فى الهواء ثم سقطت أرضاً ، الشمعة وجدتها تطير من يدى وتندفع لتسقط على الفراش، اصطدم رأسى بالمنضدة الخشبية ، الألم كان فظيعاً، أغرقنى ظلام داخلى ، حاولت المقاومة ، الجدران مازالت تتراقص ، الشمعة هناك على الفراش ، الفراش تشتعل فيه النيران

ثم ، آخر شيء شاهدته هو حريق ضخم يندلع فى المكان ثم فقدت الوعى ..!

*****

فتحت عينى فجأة ، فوجدت الوجوه المليئة بالتجاعيد تحدق فى وجهى ، وكان جسدى ممددًا على فراش طويل ، تساءلت والحيرة تنتشر فى عقلى كالضباب :

* ما الذى حدث ؟!

- إنه شيء واضح أيها العنيد ، لقد هاجمك الشبح .

قالها الرجل فى لهجة مُشفقة وهو يبتعد عنى ليجلس على أحد المقاعد واعتدلت مُتأوهاً :

* أى شبح ؟! .. لا توجد أية أشباح ! .. ثم جلست على طرف الفراش مُردفاً : آه ، أتذكر الآن لقد انهارت الغرفة واصطدمت رأسى بالصوان اللعين ففقدت الوعى ، هذا كل شيء ولكن ، ألم تنهَر القلعة ؟!

قالت المرأة فى حُزن :

- الغرفة لم تنهَر ، ولا حتىالقلعة !

نظرت إلى الساعة ، فوقفت فى سرعة :

* لم تنهَر الغرفة ؟! أى قول هذا ..؟! لقد رأيتها تنهار أمام عينى !.. لم يتكلّم أحدهما فاستطردت :

* حسناً ليس لدى الكثير من الوقت لأضيعه فى كلام بلا طائل معكما ، لقد تأخرت ويجب أن أذهب لإحضار الكشافات

الضوئية .

- تذهب إلى أين أيها البائس ، ألم تفهم بعد ؟! لقد انضممت لنا إلى الأبد .

* انضممت لكم إلى الأبد ؟! .. ما الذى تعنيه يا رجل بهذا الكلام السخيف ؟! ... نظر إلى نظرة آسفة وأشار فى صمت إلى ركن المكان ... إلى الأرض وهناك ... على أرض الغرفة... وجدت جسدى مُمدداً بلا حراك .

وفجأة فهمت كل شىء ، كل شىء !

وترددت صرخاتى بلا نهاية .

تمت بحمد الله ،،،

نشوة الدماء

الشارع الطويل كان هادئا تماماً .. حالك السواد . أضواء الشارع البرتقالية لم تفعل أى شيء لتبدد ذلك الظلام ، بل ربما جعلته أسوأ بسبب الظلال الشاحبة التى تلقيها على الأبنية فتزيد الخوف خوفاً .

الفتاة شعرت بى أسير خلفها ، لقد أدركت هذه الحقيقة لأننى لاحظت أن خطوات قدميها قد تسارعت ، كما أن رأسها كان يلتفت إلتفاته جانبية صغيرة فى أوقات مُتباعدة حتى تستطيع النظر بطرف عينيها إلى الظلّ الأسود الضخم ذى الخطوات الثقيلة والذى كان يُصفر فى إيقاع مُتكاسل ، وبالطبع هذا الظل الأسود ما هو إلا شخصى المتواضع .. ، أطاردها وما زالت تلك الابتسامة الواثقة تملأ وجهى .

لقد كانت خائفة ، وأنا لا ألومها على ذلك ، فنحن فى وقت مُتأخر من الليل والشارع لا يحتوى سوانا : أنا.. وهى . بالتأكيد هناك ملايين الاحتمالات والأفكار التى تتقافز فى عقلها كالضفادع الآن فإذا كانت تعتقد إنها جميلة ومُغرية فستعتقد أننى أسعى وراء جسدها ، وسيستدعى عقلها التراث القومى لجميع حوادث الاغتصاب التى حدثت فى المدينة ، وإذا كان فى حقيبتها الأنيقة مبلغ لا بأس به من المال فستتشبث بها فى استماتة وهى تعتقد أننى مُجرّد لص يا إلهى .. كم أحب هذه اللحظات المُفعمة بالإثارة ، ولكن فلنفند الاحتمالين أولاً.. فلقد عبرنا نصف الشارع، وما زال أمامنا النصف الآخر فلا داعى للعجلة .

أولاً ، هى تضغط على أطراف تنورتها الواسعة حتى لا يعبث بها الهواء فيكشف شيئاً خاصاً ..، هذا بلا شك يُقوِّى الاحتمال الأول: أننى أبغى جسدها ، وفى نفس الوقت كانت تضم حقيبتها إلى صدرها فى قوة ، اللعنة يا له من قوام!.. ثم تنظر فى عصبية إلى السوار الذهبى التى ترتديه ، وربما هذا أيضاً يؤكد الاحتمال الثانى: أننى فى اعتقادها مُجرَّد لصٍّ سأضع مطواة صدئة فى جانبها ثم أطلب منها فى عنف كل ما تملكه ، ودعنا لا نغفل أن هناك اقتراحا ثالثا ربما يعبث فى عقلها التائه الآن.. اقتراح يخمن أننى مُجرَّد شخص عادى يمشى فى الشارع مثلا بدون أية نوايا سيئة و..آه رأيت ساقيها الرائعتين !.. تنورتها الواسعة خدعتها وارتفعت فى الهواء لثانية و.. لكن دعنا الآن من كل هذا الهراء ، فيبدو أن الشارع قد قارب على الانتهاء ، والفتاة أصبحت خطواتها ثابتة واثقة بدلاً من الخطوات المُرتجفة الخائفة.

هل تعتقد هذه الساذجة أنها ستفلت منى ؟ ..هاه !.. كلهم حمقى ..كلهم! حسناً .. لقد تأخر الوقت فلنبدأ المرح .

خطواتى صارت أقرب للعدو وهى تتجه نحوها ، ويدى تعبث بذلك الشىء فى جيبى ، ونهاية الشارع تقترب فى سرعة ، أما هى فقد تأكدت أننى أستهدفها فقد بدأت فى الإسراع أكثر وأكثر ، ولكننى بخطوتين واسعتين سبقتها وقطعت عليها الطريق.

صرخت صرخة مكتومة ، انتفض جسدها فى ذعر من ظهورى المُباغت ويدها تُغلق فتحة صدرها الواسعة بحركة لا إرادية ، ولكننى بادرتها بابتسامة هادئة :

* آسف !.. هل أفزعتك ؟!

- ما .. ما هذا؟ .. ماذا تريد ؟!

رائع .. رائع ، أحب هذه الكلمات المُتقطعة الخافتة .. المُفعمة بارتجافة الخوف .. إن هذه الفتاة تثيرنى .

* لا تخافى يا آنسة ، فقط أريد أن أعلم ما هو الوقت الآن ؟!

عيناها تدوران فى فزع.. ماذا ؟! .. ألا تعجبها وسامتى ؟!

- ولكننى .. تناثر عرقها على وجهها ليعبث بالمساحيق الهادئة ويبدأ فى تشويه هذه الفتنة .. ولكننى لا أحمل ساعة !

قالتها وهى تحاول أن تُكمل سيرها ، ولكننى وقفت أمامها قائلاً :

* لا عليك!.. أنا معى ساعة ، وها هى ..

وبحركة سريعة أخرجت الحبل السميك من جيب معطفى..، حاولت الحركة فقبضت على ساعدها الرقيق فى عُنف..، صرخت فكتمت فمها بيدى ، تناثر شعرها الأشقر وارتطم بوجهى ، وضعت المنديل الضخم فى فمّها ، قيدت ذراعيها بالحبل فى إحكام ، جسدها الممشوق يتلوىّ كالأفعى ، خسارة هذا الجسد الرائع ، ولكن لا بديل ، ساقاها تركلان الهواء،

صرخاتها التى لا تتعدى حدود جسدها ما زالت تنطلق، صرخات رفيعة تصدر من أعماقها .

دفعتها لتسقط أرضاً ، عيناها تكادان تقفزان من وجهها ، شعرها يبدأ فى التصلُّب رائع كما أريد تماماً ..!

جثمت على جسدها كالكابوس ، ثنت عُنقها إلى الوراء.. تحاول أن تبعدنى ولكننى الأقوى ، دائماً أنا الأقوى، تحاول المقاومة ولكن يدى لا تعطيها أدنى فرصة للمقاومة .

أخرجت السكين اللامع الذى قطعت به ذلك الوريد البارز فى عُنقها ، أغرقتنى الدماء الساخنة ، جسدى يهتز فى إثارة .. الفتاة جسدها ينتفض فى عُنف وكأن تيارًا كهربائيًا قويًا يصعقها..، سواد عينيها يطغى عليه لون أبيض رائع ، لا أستطيع إيقاف يدى إنها تمتد لتقطع المزيد من الأوردة ، الدماء تتناثر وشحوب الموت يبدأ فى الظهور عليها ، جسدها يتحرّك آخر حركاته ، رأسها يكاد أن ينفصل عن جسدها ، النشوة تملأ عينى وانفعالات شتى تغمرنى و.. أخيراً تخمد حركة جسدها ..، لماذا ماتت بهذه السُرعة ؟! نهضت مُترنحاً والانفعالات تهدأ تدريجياً..، انحنيت على جسدها ، أمسكت يدها اليمنى وقطعت إبهامها ، ثم أخرجت المنديل من فمها ومسحت به الدماء التى تغرق السكين ، وضعت الإبهام بداخل المنديل ، فتحت حقيبتها لآخذ بطاقتها الشخصية ، وضعتها أيضاً بداخل المنديل ، فهذه التذكارات شىء هام للغاية .

ألقيت نظرة أخيرة على الشارع الخالى ، الصامت دائماً كقبر ، ثم غادرت المكان وبقايا إثارة مُمتعة تلوح على وجهى .

*****

لقد استأجرت هذه الحجرة مُنذ بضع ساعات فقط ، حُجرة متواضعة فى أحد المبانى الحقيرة التى اعتدت عليها ، بالطبع أنت تعلم أهمية تغيير الأماكن بالنسبة لشخص مثلى ، ولكن بمجرَّد أن وطئت قدماى أرضها شعرت أننى مُراقب فتحت النوافذ فى سرعة ، فحصت ببصرى الشارع والمبانى حتى فجأة وجدته ، رأيت رجلاً فى المبنى المقابل لبنايتى.. كان يبدو وكأنه يشاهد حركة المارة والشارع من نافذة شقته ، ولكننى لاحظت عينيه تختلسان النظر إلى من طرف خفى إننى ذكى للغاية.. عبقرى ولن يستطيع أى إنسان أن يخدعنى قطٌّ ، إننى أعرف هذه النظرات جيداً ، تلك النظرات المُتشككة ، المُتلصصة التى تقتحم خلوتك فى جُرأة تحسد عليها ، وأعرف تلك الحركات ، هذه الحركات المقصودة والتى تبدو وكأنها غير مُتعمدة حتى لا تلفت إليها الأنظار ، لقد وجدونى، بالتأكيد وجدونى ، لا أعرف كيف ولكن هذه هى الحقيقة إننى أشعر بهذا وأدركه تماماً.

إن عضلات جسدى ترتجف فى توتر عندما أتذكر النهاية الرهيبة التى حدثت لأشباهى والتى ستحدث لى إذا ما أفلحوا فى الإمساك بى ..، سيقتلوننىبحبل المشنقة..، أبشع صورة للموت بالنسبة لى.. يا إلهى .. إننى لم أخف هكذا من قبل فى حياتى..!

الخوف ؟! يا للسخرية ، إننى لم أعهد هذا الشعور من قبل ، هم الذين يخشوننى دائماً ، المدينة كلها تخشانى ، إنهم يرتعدون عندما يسمعون أننى قُمت بمهمة جديدة .

لقد قتلت وقتلت مرارًا ولم يجابهنى هذا الشعور المقيت أبداً، القتل بالنسبة لى كلعبة فى يدّ طفل ، ولكننى لم ولن أملّ هذه اللعبة نهائياً ، الدماء حياتى ، رغبتى وملاذى ، عالمى الأحمر الخاص ، إنك لن تستطيع أن تفهم اللذة فى أن تجد الدماء الساخنة اللزجة تسيل فى بُطء مُثير مُذهل .

ولن تستيطع أن تدرك أن هناك نشوة رائعة تتملّكنى عندما ألمس بأصابعى وأشعر بأخر انتفاضة دافئة لجسد حى ، ثم بعده يأتى ذلك البرود الأبدى الأسطورى ، برود الموت . لا لن تستطيع مهما حاولت أن تفهم الإثارة فى أن تسمع آخر صرخات شخص ما .. صرخات رفيعة .. حادة .. ، صرخات تعلم أنها تقترب من الموت ، تقترب من الراحة الأبدية . ولن تدرك مقدار المُتعة الرائعة فى أن تشاهد العيون الجاحظة المُفعمة بالفزع وهى تحدق فيك فى ذعر ، ثم فجأة تفيض بذلك الخواء والفراغ اللانهائى فراغ النهاية ، فراغ الموت !

لقد كنت وما زلت دائماً الأذكى والأبرع فى مسائل الموت وابتداع صُوره وطُرقه، أما الآن ، فما الذى حدث لى ؟.. ما الذى حدث لثقتى؟ هل هى النهاية ؟! لماذا يلح حبل المشنقة على عقلى مُنذ اللحظة التى شعرت فيها أننى مُراقب ، لماذا ؟!

أغلقت النافذة فى عُنف ثم جلست على الفراش أفكر فى حلٍّ ما .

إننى مُحترف ..، مُحترف بكل ما تحتويه الكلمة من معان ، لست موسوساً حتى أشك فى نظرات أى شخص أحمق ينظر إلى وأترجمها على أنها نظرات تراقبنى ، أو أنها نظرات شخص يعرفنى ويعرف ما أفعله ..، ولكن نظرات هذا الرجل كانت شيئًا خاصًا للغاية . إنها نُسخة طبق الأصل من نظراتى ، صورة أخرى من عيونى المُتفحمة ، إن هذا الرجل يخيفنى ، إن عينيه تجعلان شبح حبل المشنقة يتراقص أمام عينى .. إنهما تجعلان تلك الدائرة الرهيبة تهتز بلا توقف فى عقلى وبداخلها جسدى يتدلَّى منها ! ، هناك فكرتان لا ثالث لهما إما أن يكون هذا الرجل مُجرَّد فضولى يتطلّع إلى أى شىء أو أنه شُرطى بالفعل ويراقبنى، ووجد فى شخصى فريسة جيدة للحصول على مجدٍ ما وربما هو يقوم بترتيباته الأخيرة للقيام بهجوم مُفاجئ يكون حديث الصحف الصفراء لأسابيع . ,

ولكن إذا كان شرطيًا فكيف عرف شكلى وملامحى؟ هل رآنى أحد ما أثناء حادث فعلته وأدلى بأوصافى له ؟ أم أنه مازال فى مرحلة الشك لم يتأكد بعد من حقيقتى ؟ أم ماذا ؟!

اللعنة شخص واحد فقط يفعل بى كل هذا مجرد شخص حقير ! ولكن الشىء المثير للاختناق هو صورة تلك الأنشوطة اللعينة التى تطاردنى وأذنى تكاد تسمع السؤال المثير للغثيان ماذا

تريد قبل أن تموت ؟ والجلاد يعصب عينى ويضع عنقى بداخل الأنشوطة أفكار رهيبة .. رهيبة . الحرص مهم جداً وينبغى التأكد من كل الاحتمالات والشكوك لذلك أسرعت إلى إحدى حقائبى وأخرجت منها منظارى المكبر فتحت النافذة قليلاً فتحة صغيرة وضعت إحدى الوسائد على الأرض ثم ركعت لأتكئ عليها بركبتى وضعت المنظار على عينى وأنفاسى تتابع فى ترقب ، كنت أوجهه ببطء نحو نافذة هذا الرجل عندما ... ألف لعنة ... أغلقت النافذة لاهثاً صدرى كان يعلو ويهبط وكأننى عائد لتوى من سباق للمارثون ثم قذفت المنظار فى عصبية ليرتطم بالحائط ويتحطم .

لقد كانت ومضة ضوء خاطفة أصابت منظارى كطلقة الرصاص هذا الأحمق لقد كان يراقب نافذتى بالفعل وبمجرد أن نظرت إلى نافذته انعكست أشعة الشمس عن منظاره هو أيضاً ، لقد كان يراقبنى .. لقد تأكدت من شكوكى .. أنا الآن مُستهدف ولكن .. ما الذى سيحدث الآن ؟! هل حانت ساعة الصفر .. ساعة نهايتى؟! وهل ستأتى الشرطة بعد دقائق لتحيط بالمكان وتُنهى مجهوداتى طوال السنين الماضية فى لحظة واحدة؟!

يا إلهى .. لقد أصبح عقلى على وشك الانفجار ، فتحت النافذة بعنف ، وهناك وجدته واقفاً فى نافذته ينظر إلى بنظرات يغرقها التحدى .. نظرات باردة. هذا الوقح

لقد صرنا نتقاتل بوجوه عاريه بعد أن اكتشفنا أننا يراقب كل منا الآخر ، كانت النظرات تصرخ ، كانت تفيض بكراهية هائلة وبغض لا مثيل له ، مرّت الثوانى كالساعات وكلانا يُحدّق فى الآخر ثم دخل غرفته مُسرعاً ، صرخت فى عصبية :

* حسناً أيها الوغد .. فلتكن نظراتك الأخيرة ، إنها نهايتك !

تفجر الغضب من كُلّ ذرّة فى جسدى وأنا أفتح إحدى حقائبى فى عُنف لم يكن هناك الكثير من الوقت لأضيّعه ، وعقلى لم يعد يفكر فى شىء سوى الدماء .. دماء هذا الرجل كنت أتخيلها تغرقنى، وتملأ يدى ، وأشعر بدفئها يتسلل إلى جسدى ، كنت أتخيل كل هذا فيغمرنى شعور بالنشوة والإثارة ، حتى لو كان شرطياً أو حتى شيطاناً سوف أقضى عليه تماماً .. ثم بعد ذلك سأختفى عن الأنظار .

أخرجت خنجرى الضخم ذا الحواف المُتعرّجة ، أغلقت الحقيبة ثم أزلت بالمنديل سريعاً أية بصمات لى من إطار النافذة والصوان والفراش الصغير ، تأكدت من أننى أخذت كل ما يخصنى ووضعته فى الحقائب .

ارتديت ملابسى على عجل ثم تركت النافذة مفتوحة وضعت الحقائب خارج الغرفة ثم أغلقتها بعد ذلك بإحكام .

كنت سأسرع بهبوط الدرج مُتجهاً نحو شقة هذا الرجل لولا أننى تذكرت شيئاً ما أضاء فى عقلى ضوءًا أحمر ، هو إنذار يذكرنى بشئ كدت أنساه.. لقد كدت أنسى صاحب البناية الذى

استأجرت منه الغرفة ، إنه يعرف ملامحى ، وبالتالى من الممكن أن يقول ما يعرفه عنى إذا استجوبته الشرطة ...، لذلك قررت فى نفسى أمرًا ، وضعت الحقائب على الأرض ثم اتجهت نحو شقته ، ضغطت بسبابتى على الجرس ، ومضت ثوان فتح بعدها صاحب البناية الباب ، ابتسم فى هدوء عندما رآنى ، ولكن نظرة سريعة لما أحمله فى يدى جعلته يتراجع للوراء فى ذعر .. وقبل أن يصرخ ... انطلقت نحوه الرصاصة المكتومة ، تراجع مُجدداً للوراء ، اخترقت الرصاصة جمجمته و... تناثرت الدماء حملت حقائبى وساقاى تعدو على الدرج ، لقد كنت ذاهباً لأخوض فى أقصى درجات الإثارة .. إثارة القتل ....، كنت ذاهباً لأغرق وسط إعصار هائل من النشوة ... نشوة الدماء !

*****

هبطت إلى الشارع ...، رفعت رأسى نحو بناية الرجل ونظرت إلى نافذته ، وكانت خالية ، اتجهت نحو البناية ، لم يكن هناك مصعد ، فعدوت على الدرج فى عصبية ..، لقد كانت دماؤه تنادينى ، ويا له من نداء مُمتع ، وجدت شقته أخيراً .. طرقت الباب فى قوة :

- من بالباب ؟! ... صوت خشن قاس يتساءل .

لم أجب ، بل طرقت الباب مرَّة أخرى وأنا أرهف أذنى للسمع ، حتى فجاة سمعت تلك التكة المعدنية الخفيفة ، وهنا قفزت فى الهواء واندفعت ساقى لتحطم مزلاج الباب ، ودفعت الباب فى

قوة ليتهاوى ثم انقضضت عليه كالصاعقة ، وكما توقعت ، لقد كان يحمل مُسدسًا ، وكان بصدد إطلاق النارعليَّ.

عاجلته بلكمة فى فكه مُستغلاً صدمة المُفاجأة .. سقط المسدس منه على الأرض ولكن ..

يا إلهى ، ما هذا ؟! أصوات عربات الشرطة تقترب فى سرعة رهيبة ، إذن لقد كان شرطياً !

انتهز لحظة تفكيرى فدفعنى فى قوة لأصطدم ببروز فى الحائط ، سقطت أرضاً فركلنى فى قوة .

تدفقت الدماء من رأسى و... صوت العربات يقترب ويقترب ، يجب أن أهرب ولكن الرجل كان قوياً كثور أمسك بالمقعد الخشبى مُتأهباً ليحطم رأسى أبواق الشرطة توقفت بجانب البناية ، تفاديت المقعد بصعوبة ثم اتكأت على الصوان ليرتفع جسدى فى الهواء وأركله فى معدته ثم أحطم أنفه بقبضتى ، لكمة عنيفة دار لها رأسه ليسقط أرضًا ، حاول أن يتحرَّك ولكننى جثمت على صدره وعاجلته بضربة أخرى كالقنبلة فى وجهه ولكن .. الشرطة ... إنها قادمة ، كان يجب أن أنهى ما جئت لأجله ... إننى أحتاج لدمائه ... أريدها .. إنها تخصنى .. إنها ملكى .

غرست المحقن الفارغ فى عروقه .. اتسعت عيناه فى ذعر ، أخرجت الحبال الليفية الخشنة .. قيدت زراعيه فى قوة ، جسده يرتجف في ألم ...، حُقنة الهواء ستقتله فى عشر ثوان..

ثنيت رأسه للوراء و...اندفعت نشوة الدماء إلى رأسى ، وتناسيت كل شىء عن الشرطة لثوان ... وأغرقتنى الإثارة .

جسدى يرتجف فى لذة ... عيناى تملؤهما اللهفة .. الخنجر يلمع فى يدى .. ثم .. ذاب كل شىء من حولى وغرقت فى غيبوبة الدماء .

الدماء الحارة تخضب يدى دماؤه المُلتهبة .. القانية.. الارتجافة الأخيرة فى جسد الرجل .. الإثارة تهز جسدى و ... يا إلهى !! الشرطة ..، خطوات ثقيلة تكاد تحطم الدرج .

حاولت أن أسيطر على موجة اللذة والإثارة التى تجتاحنى ، أمسكت حقائبى وهرعت نحو الباب تاركاً الجسد الذبيح على الأرض .. نظرت نحو الدرج ورأيتهم .. كانوا هناك.

- ماذا تفعل ؟! .. توقف عندك ؟!

أطلقت رصاصة من مسدسى ثم تراجعت بداخل الشقة أبحث عن طريق للفرار ولكننى أخطأت ، لأول مرة فى حياتى أتخذ قراراً خاطئاً ، لقد وضعت نفسى فى المصيدة الشقة لا يوجد بها باب خلفى ، ولا هى فى الطابق الأول كى أقفز منها للشارع فى سرعة وجدتهم يملئون الشقة ، أطلقت رصاصة أخرى ولكننى أحسست بألم فى كتفى ثم رنَّ صوت رصاصة فى أذنى ...

- نحذرك لأخر مرَّة ، ألق مسدسك !

مستحيل .. كأنك تطالبنى بالضبط أن أضع عُنقى فى أنشوطة المشنقة ، تراجعت للخلف من جراء إصابة كتفى وأطلقت

رصاصة ثالثة و... رصاصة أخرى تمزق صدرى ، جسدى يندفع فى الهواء لأسقط عاجزاً عن الحركة فى ركن الغرفة ، الأصوات من حولى تتردد كإعصار يقتنص جسدى ، الألم ينتشر فى كل خلية من خلايا جسدى ، أحدهم يشير إلى ، وسط الغيوم التى تتكاثف على عينى، أرى أحدهم يقترب منى ..

* يا إلهى ، من هذا ؟!..

صوت أخر ينبعث من وسط الضوضاء :

- هل هما شريكان ؟!

دمائى تتدفق بلا توقف و... :

* لقد قتله اللعين !

أحاول أن أتنفس بصعوبة و... أريد بعض الهواء أيها الثرثار.. هواء .

- ولكن لن نعرف أين خبأ الأموال .

الألم يقتلنى .. إنه رهيب ، شخص أخر ألمحه بصعوبة يفتح حقيبتى الخاصة حقيبة التذكارات ، ملامح الرجل تقلصت.. صرخ :

- يا إلهى ... إنها أصابع مقطوعة وبطاقات شخصية .

أضواء مُملة تعصف بى .

* صوت غريب يخترق الحشد ، فقدان الإحساس يزحف على ساقى ، يشير إلى الرجل الذى قتلته :

- نعم ، هو هذا الرجل !... لقد أبلغت عنه بمجرّد أن تعرّفت

على صورته فى الجريدة ، أليس هو لص البنك ؟!

أريد أن أموت ، أموت .

- يا إلهى ، إنها مُعجزة ، الاثنان بضربة واحدة !

فقدان الوعى على بُعد خطوات منى .. صوت سيارة الإسعاف يقترب .

* ولكن لماذا قتل السفاح لص البنك ؟!

أنا سفاح ؟! ، أيها الحقير ، لو كنت بقواى لكنت أريتك المعنى الحقيقى للسفاح .. إننى فنان .. عبقرى ولكن .. آه .. لقد كان اللص يخشانى كما كنت أخشاه ، صوت آخر يخترق أذنى:

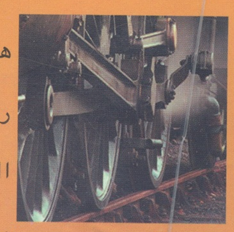
- لا تخف ، إصابة السفاح ليست قاتلة ... سيعيش .

أحاول الحركة ولكن بلا فائدة ، الغبى ، لقد انتهيت بسبب غبائه ، ربما كان يعتقد أننى شرطي كما فعلت أنا ، يا لها من نكته ! .. أحاول أن أصرخ ، أن أفعل أى شىء ولكننى فشلت الأنشوطة تقترب منى ، صورة حبل المشنقة القبيحة صارت قريبة للغاية ، ولكننى مُحترف ، وذكى للغاية ، ماذا تريد قبل أن تموت ؟ .. الجلاَّد يضحك فى سخرية ، ولكنه سيعيش .

لا أريد أن أحيا ، أريد أن أموت ، والقتيل كان غبياً ... كان مجرَّد لص ! و.... لماذا لا ينتهى هذا العذاب ؟ لماذا لا أموت الآن ... لماذا؟!!!

تمت بحمد الله ،،،

الفهرس



هل تخاف ؟

ربما تخاف من الظلام ، ذلك السواد

الذى يملؤك بالغموض و الرهبة ..



وربما تخشى الصمت الذى لا تسمع

فيه سوى دقات قلبك و انفاسك

المتتابعة .. ربما وربما ... ولكن

الشيء الأكيد إنه لا يوجد أحد لا



يخاف . كلنا شعرنا بالخوف .

هذه قصص عن الرعب الحقيقى ..

عن الغموض الذى يملؤك بالألغاز

ليلهب خيالك ..



فتعال معنا لتتعرف على

مليون طريقة

للموت ..!

مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ١٤٤ ش طيبة - سبورتنج - الإسكندرية
تليفاكس : ٥٩٧٢١٧١ - ت : ٤٩٢١٢٨٤